17 e Année No. 813

Lundi — 31 — 1 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٨١٣ « القاهرة فى يوم الاثنين أول ربيع الآخر سنة ١٣٦٨ — ٣١ يناير سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

قروية فيلســـوفة

لا يا صديقى ! لا أريد أن تَبيضّ صحيفتى ! كان العشاق لا يطيقون الرقيب وله عين ، فكيف يطيقونه اليوم وله عين ولسان ، وقلم وسلطان ؟ دعنا من حديث شرق الأردن والعراق والجامعة ، وتعال أحدثك حديثاً رفيقاً رقيقاً ، إن خلا من الفائدة فلا يخلو من اللذة ، وإن بعد عما يشغل الناس فلا يبعد عما يشغل النفس :

أم عامر قروية شيخة ، تعد الستين فى سرها ، ولكنها كسائر النساء لا تجاوز الثلاثين فى جهرها . وهى فى سبيل التدليل على استحارة شبابها وا كتمال قواها تتحامل على نفسها ، فتحلب الجاموسة ، وتملأ الزير ، وتخبز الفطير ، وتكنس الدار ، وتكسح الزريبة ، وتعلف الماشية ، وتطهو الطبيخ ، وتحمل فى عنقها مفاتح الحبوب والنقود واللبن والكرار ، فلا يستطيع أحد من أولادها وأحفادها أن يصل إلى شىء من أولئك إلا عن يدها . فإذا أشفقت عليها كَنّتاها ورغبتا فى أن تعيناها على شأن من شؤون المنزل ، قالت لهما فى كبرياء وأنفة : أنا لا أزال صبية مثلكما ! عليكما الغيط ، وعلىّ البيت ! والحق أن السيدة أم عامر قوية ذكية : تمرست بالشدائد فازدادت مِرّة ، وتصرفت فى الأمور فاكتسبت خبرة ، واضطربت فى المعاش على هوى الزمن القلّب فتملت بالتجربة ، وتفلسفت بالسليقة ؛ فكلامها حِكم ، وحديثها أمثال ، ورأيها حجة . ومن أجل ذلك تميزت شخصيتها فى المجتمع الريفي فأصبحت كالعرّافة فى العهد القديم ، تستخيرها كل امرأة ، وتستشيرها كل أسرة . وهى إلى ذلك طويلة الأنف تدسه فى كل منزل ، شَرْفاء الأذن ترهفها إلى كل مجلس ؛ فلا يقع فى العزبة حادث أو حديث إلا كان عندها علمه ومن لدنها ذيوعه .

رأيتها صباح يوم من أيام ديسمبر جالسة فى الجرن تنزع الأغلفة عن أمطار الذرة المندّاة ، وحفيدها الصغير نائم على كتفها ، وكلبها الأبقع رابض بقربها ، وحمائم البرج القريب ينتهزن غفلتها النادرة فيقعن من وراء ظهرها على جانب الفرش يقتلمن الحب من قوالحه . وكان الفلاحون ونساؤهم قد خرجوا إلى الحقول ، صغارهم ليسيموا الأنعام فى البرسيم الغض ، وكبارهم ليطهروا المصارف من الغرين الراسب ، فلم يبق فى الضيعة إلا عجوز تستدفئ بالشمس ، أو طفلة تلعب فى الطين ، أو دجاجة تبحث فى الأرض . فأغرانى هدوء المكان ، ودفء الجو ، وما سمعته عن حال العجوز ، على أن أذهب إليها . فحييتها ، ثم جلست إزاءها على أعواد الذرة اليابسة وسألتها : كيف حالك يا أم عامر ؟ فأجابت العجوز بلهجة تنم على الرضا والغبطة : حالى خير حال والحمد لله ! العيش مخبوز ، والماء فى الكوز ، فما ذا أبغى فوق ذلك ؟ فقلت لها : وهل يقنع ابن آدم ؟ تبغين الأرض المملوكة ، والدار المشيدة ، والثوب الحرير ، والمركب الفاره ، واللحم فى كل وجبة ! فقالت وهى تضحك : هبنى ياسيدى أصبحت (بدراوية) ، عندى

(البقية على صفحة ١٥٥)

احمد حسن الزيات

النزاع في البلقان

للأستاذ عمر حليق

من بين القرارات الرئيسية التي اتخذتها الجمعية العمومية في اجتماعها الأخير بباريس مشروع جديد لإعادة السلم في البلقان، والسعي لتصفية الحرب الأهلية في اليونان.

وقرار هيئة الأمم هذا يطلب إلى جارات اليونان الثلاث: ألبانيا وبلغاريا ويوغسلافيا، الامتناع عن تزويد الثوار اليونانيين بالأسلحة والمساعدة المادية والمعنوية، ويوصي اللجنة الدولية التي أنشأتها هيئة الأمم لفض النزاع في البلقان بمتابعة أعمالها. وقد خولها هذا القرار صلاحيات جديدة من شأنها إذا نفذت أن تضع نهاية مرضية لهذا الصراع المؤسف الزمن الذي ابتدأ بين اليونان وجاراتها منذ أن وضعت الحرب العالمية الأخيرة أوزارها.

وهذا المشروع الذي نحن بصدده، هو من وضع الصين وبريطانيا وفرنسا وأمريكا مشتركين. وقد نال أصوات جميع أعضاء هيئة الأمم باستثناء روسيا وحلفائها في دول أوربا الشرقية

وكان رأي الروس لحل مشكلة البلقان يرمي إلى وقف أعمال لجنة البلقان الدولية التي ألفها مجلس الأمن في السنة الماضية، وسحب الجنود الأجانب من جميع الجنسيات من اليونان، ثم حمل الدول المتنازعة على الدخول في مفاوضات لإيجاد تصفية نهائية.

وطبيعي أن هدف الروس في هذه الدعوة هو إقصاء الجنود الأمريكيين والبعثات العسكرية الإنجلوسكسونية التي تدير الجيش النظامي اليوناني، وترك الحالة مرهونة بالقوة الكامنة لدى الثوار اليساريين اليونان والتي ترعاها حكومة موسكو في شكل لا يتخذ صورة المساعدة العلنية التي يقوم بها الأمريكان في اليونان وتركيا، والتي تتخذ شكل السيطرة السياسية والاقتصادية التامة؛ خصوصاً في اليونان. وقد كتب هانسون بولدوين الملق العسكري لجريدة النيويورك تايمس الأمريكية منذ مدة يقول إن انتصار روسيا في حرب البلقان يكشف عن وسيلة الصراع التي تدفع فيه روسيا الولايات المتحدة إلى حرب اقتصادية تستنفد القوى الاقتصادية الأمريكية وتعقد العلاقات والتيارات الاقتصادية والتجارية في عالم ما بعد الحرب. وقد عد هذا الكاتب عمليات روسيا في اليونان انتصاراً لأن مضى عام على احتلال الأمريكان مكان الإنجليز في اليونان، وإنفاقهم ٢٥٠ مليون دولار بموجب شريعة ترومان خلال السنة المنصرمة، قد أنتج عكس ما كان يقدر له صناع السياسة في أمريكا. فقد زاد عدد الثوار اليونان من ١٠ آلاف إلى ٢٥ ألفاً، وتراكمت على الإدارة الأمريكية التي تتولى تنفيذ شريعة ترومان في اليونان أعباء مالية جسيمة اضطرتها إلى أن تطلب من الكنغرس تخصيص ضعف هذا المبلغ (٥٠٠ مليون دولار) للسنة الحالية. أضف إلى ذلك أن اليساريين اليونان قد تمكنوا من التركز في مواقع استراتيجية جديدة تتوغل في الأراضي التي كانت تسيطر عليها الحكومة اليونانية في السنة الماضية.

ولنعد إلى محاورات هيئة الأمم:

لقد رفض المشروع الروسي بأكثرية ساحقة، وكانت حدة النقاش بين الروس وحلفاء الغرب بصدد المشكلة البلقانية في جلسات هيئة الأمم من أعنف ما شهدته هذه المؤسسة من نقاش. فقد حمل المسيو فيشينسكي وهو قانوني ضليع وخطيب مصقع على لجنة البلقان الدولية وطالب بحلها معدداً الأخطاء والتحيز الذي بدا منها بفضل ما سماه «مهزلة التدخل» الأمريكي في أعمالها وتوصياتها وفي سعيها لتوطيد الملكية اليونانية أمام مقاومة ما سماه فيشينسكي العناصر التقدمية الشعبية.

ولعل من الطريف مقارنة فيشينسكي في تعداده أخطاء لجنة البلقان بدفاع زميله ومواطنه يعقوب مالك المندوب الروسي الدائم في مجلس الأمن عندما تعاقب المندوبون العرب بالخطب وبالمذكرات على الكشف عن تآمر وأخطاء لجنة التقسيم الدولية بفلسطين ولجنة مراقبة الهدنة...

وحاول المندوب الروسي أن ينفي التهم عن حلفائه البلغاريين والألبانيين واليوغسلافيين فقال إن أزمة النزاع في اليونان ليس مبعثها تدخل جارات اليونان، ولكن مبعثها فساد النظام والإدارة السياسية في حكومة أثينا، وأن أية محاولة لتعزيز هذه الحكومة لن يضمن استقرار السلم في البلقان وهي منطقة في مسيس الحاجة إلى الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي، وهو إصلاح لا يتم إلا بتوطيد السلم الحقيقي. أما أجوبة اليونان عن ادعاءات الروس فإنها تشير إلى أن اليونان فريسة عدوان منظم من جاراتها الشيوعية، وهذا العدوان يتخذ شكل اعتداء حربي مسلح يشترك فيه الجنود البلغاريون والألبانيون واليوغسلافيون مع الثوار اليونان برعاية حكومة موسكو ومساعدتها المادية والمعنوية. ولذلك فإن مأساة الصراع في اليونان ستنتهي حتما إذا امتنعت روسيا وأعوانها

عن تغذية الثوار اليونانيين . ويقول ممثلو حكومة اليونان فى هيئة الأمم إن الشعب اليونانى فى منطقة الحكومة وفى منطقة الثورة على السواء يرغب فى السلم ، ولن يتم له تحقيق هذه الرغبة إلا بوقف تدخل الدول المجاورة .

ويمزز رأى اليونان أصوات سادة هيئة الأمم المتحدة وهم الإنجلوسكسون ، وقد استطاعوا إقناع أعضاء الهيئة بتخويل اللجنة الدولية فى البلقان صلاحيات جديدة يمززها من الخلف نفوذ لايك سكسس عسى أن يستقر السلام فى تلك المنطقة التى هى برميل البارود فى حروب أوربا الشرقية .

ويقول تقرير نشر فى لايك سكسس مؤخراً إن اللجنة الدولية المذكورة معززة بقرار الجمعية العمومية قد نجحت مبدئياً فى تقريب وجهات النظر بين الحكومة اليونانية وجاراتها على أسس جديدة قد تسفر — إذا استمر هذا الجو الهادئ نسبياً الآن فى البلقان — عن خطوات عملية جدية لتصفية نهائية ...

(نيويورك) عمر حليم

أبو عمرو بن العلاء

للأستاذ عبد الستار أحمد فراج

(لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله فى كل شىء كان ينبغى أن يؤخذ بقول أبى عمرو بن العلاء)

يونس بن حبيب

الفرج :

ما بال هذا الشيخ العلاء بن عمار وابنه الفتى أبى عمرو يضربان فى إحدى صحارى اليمن مصعدين إليها ؟

أما أكبرهما فيجلله الشيب ويغشيه الوقار وتنبىء طلعته عن عراقة النسب وكرم النجار وإن كانت تبدو عليه رهبة الخائف وخشية المطلوب .

لكن الفتى أبا عمرو — وقد خنق بضعاً وعشرين سنة — تتبين فى تقاسيم وجهه مخايل النجابة ولمحات الذكاء ، وبطالعك بالبصيرة النفاذة والفكر اللماح ، وتتوسم فيه لهفة التعطش إلى انتهال المعارف وارتشاف العلوم .

وبينما الصمت باسط أجنحته على هذا الفضاء المترامى إلا ما تسمعه من همس أخفاف الإبل وهى تلامس صفحة الرمال المنبسطة ، انطلق صوت أعرابى يغذ السير وهو ينشد :

لا تضيقن بالأمور فقد تفرج غماؤها بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

فأقبل الشيخ وهو يغالب لهفة تملك عليه نفسه يسأله عما وراءه فكان جوابه : مات الحجاج .

لك الحمد يا ربى ! نطقت بها أسارير العلاء قبل أن يترطب بها لسانه بين فكيه ، وأخذت وسامة الارتياح تجلو عن صفحته جهامة الإفزاع ؛ وأدار وجه راحلته ليصرفها إلى البصرة بعد أن تقبل التهنئة من فتاه بسلامته من طلب الحجاج مما حمله ركب أهوال الصحراء فى طلب النجاة وقد ضم إليه ابنه خشية أن تمتد إليه يد الإيذاء . أما أبو عمرو فهو — كما يحدث عن نفسه — كان أكثر فرحاً بالإنشاد من سماعه بنبأ الوفاة . أليس ذلك الأعرابى يقول : « له فرجة كحل العقال » بفتح الفاء من الفرجة لما كان مخرجاً من الهم المعنوى وهو يحفظها من قبل بالضم لما كان بين الشيئين الحسيين؟

نسب أبى عمرو :

اشتهر بكنيته أبى عمرو واسمه الحقيقى زبان بن العلاء بن عمار ابن العريان بن عبد الله بن الحصين ، وينتهى إلى مازن من تميم ، كان من أشراف العرب ووجهائها مدحه الفرزدق بقوله :

ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

وغضب مرة فهجاه ثم جاء إليه معتذراً فقال أبو عمرو :

هجوت زبان ثم جئت معتذراً من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

ويكفى فى مكانته من قبيلته أن أباه كان من الرجال الذين اتجهت إليهم أنظار الحجاج فطلبه للقضاء عليه .

نشأته وشيوخه :

ولد بمكة فى أواخر العقد السابع من القرن الأول الهجرى ، وبها وبالمدينة كان تلقيه لكتاب الله حيث كان يسارع إلى حفظه كل فتى من أهل الحرمين وغيرهما من الأمصار إذ ذاك . وكان علماؤها يتلقون روايات القرآن المختلفة عن رسول الله ويختارون منها ما وافق شروطهم فى الاختيار ؛ وكانت رواية هذا أو بعضه تعد — بجانب رواية الحديث — أعظم ما يهتم به المتعلمون وأكرم ما يسمى إليه الراغبون . ولكن أبا عمرو لم يدع أحداً من نابهى القراء إلا تلقى عنه القراءة وعرضها عليه . وأقدم من أخذ عنه من أهل مكة مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ هـ وعطاء ابن أبى رباح المتوفى سنة ١١٤ ، وعكرمة بن خالد المخزومى المتوفى

سنة ١١٥، وعبدالله بن كثير أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٠، ومحمد بن محيصين أحد القراء الأربعة عشر المتوفى سنة ٢٣ ، وحميد بن قيس الأعرج المتوفى سنة ١٣٠

وأخذ من شيوخ المدينة عن يزيد بن رومان المتوفى سنة ١٢٠ وأبي جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة المتوفى سنة ١٣ وشيبة بن نصاح المتوفى سنة ١٣٠ وقد تلقى عن هؤلاء الثلاثة أيضاً نافع أحد القراء السبعة . ورحل إلى البصرة والكوفة فأخذ من شيوخ البصرة عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر اللذين توفيا سنة ٩٠ القرآن والنحو ؛ وأخذ عن الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ أحد القراء الأربعة عشر القرآن ، وعن عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ القرآن والنحو، وتلقى بالكوفة القرآن عن سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ وعاصم بن أبي النجود أحد القراء السبعة المتوفى سنة ١٢٧ فأبو عمرو وهو أحد السبعة المشهورين إلى عهدنا هذا مع بقية العشرة إلى الأربعة عشر، أخذ عن كل من سبقه في السن وشارك من قاربه إلا ابن عامر بدمشق فإنه لم يأخذ عنه ولم يشاركه. ولعل أبا عمرو لم يكن — كما يبدو من طلب الحجاج لأبيه — من المقربين إلى خلفاء بني أمية ، فلم يحاول أن يقدم عاصمتهم ويأخذ عن قارئها عبد الله بن عامر ، وبخاصة إذا علمنا أنه زار دمشق في دولة العباسيين . ثم استقر به المقام في البصرة إلا ما ندر حيث تهيأت له إمامة القراءات والأدب بعد أن طوف بالأمصار وخاض البوادي

علمه :

ليس بالكثير على رجل كأبي عمرو ، وقد أخذ عن أعلام الإسلام وأجلة العلماء أن تكون له مكانته في العلم ملحوظة ، فيقول فيه تلميذه أبو عبيدة : كان أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر . وأن يقول تلميذه الأصمعي : سألت أبا عمرو عن ألف مسألة فأجابني فيها بألف حجة . وأن يعتز أبو عمرو بما وفقه الله إليه فيقول: لقد حفظت في علم القرآن ما لو كتب ما قدر الأعمش على حمله . ويقول ما رأيت أحداً قبلي أعلم مني . ويزيد الأصمعي على ذلك : ولم أر بعد أبي عمرو أعلم منه . وفيه يقول تلميذه يونس بن حبيب : « لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء »

وهو إلى جانب شيوخه الذين فاق بعددهم كل من عاصره كانت دفاتره ملء بيته إلى السقف .

أدبه :

يروي أبو عمرو الشيباني : ما سألت أبا عمرو بن العلاء عن حماد إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه . وإن كتب الأدب واللغة لتروي شروح أبي عمرو للشعر وروايته له وذوقه الأدبي في تخير أجودها ، فأبو الفرج في أغانيه يقول : كان أبو عمرو يرى أن بشار بن برد أبدع الناس بيتاً حيث يقول:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ... ونفى عني الكرى طيف ألم

وأنه أمدح الناس بقوله :

لست بكفي كفه ابتغي الغنى ... ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

وأنه يقول : أحسن شعر قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة :

تقول ألا تبكي أخاك وقد أرى ... مكان البكا لكن بنيت على الصبر

وأنه لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من بيت الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

وكان يقول : أبو النجم أبلغ في النعت من العجاج :

وكانت له موازنات بين الشعراء ، فهو يشبه جريراً بالأعشى ، والفرزدق بزهير ، والأخطل بالنابغة . وكانت له تشبيهات جميلة ؛ من ذلك قوله : عليكم بشعر الأعشى فإني شبهته بالبازي يصيد ما بين العندليب إلى الكركي . وكان يقول : إنما شعر ذي الرمة نقط عروس تضمحل عما قليل ، أو أبعار ظباء لها شم في أول شمها ثم تعود إلى أرواح الأبعار . وعرض عليه قول عدي بن الرقاع :

لولا الحياء وأن رأسي قد عثا ... فيه المشيب لزرت أم القاسم

وكأنها وسط النساء أعارها ... عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنائم

فقال : أحسن والله ، وكان عنده شيخ مدني جالس فقال والله لو سمعت لحن معبد في هذا الشعر لكان طربك أشد واستحسانك أكثر . وكان أبو عمرو لكثرة تنقله واتصاله بأهل البادية يعرف فصحاء القبائل فيقول : « أفصح الناس أهل السروات » ولقد بلغ من قدرته أن وضع — كما اعترف — بيتاً من الشعر دسه في شعر الأعشى وهو :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فلم يلحس صنعه إلا بشار .

إقبال الناس عليه وتلاميذه :

إن رجلاً بلغ من العلم والأدب والمكانة ما بلغه أبو عمرو يكون قبلة الناس في مجتمعاته ؛ فلقد روى أن الحسن مر بأبي عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف فقال من هذا ؟ فقالوا أبو عمرو . فقال لا إله إلا الله ! كادت العلماء أن تكون أرباباً . كل عز لم

يؤكد بعلم فأبى ذل يؤول » .

ولقد نبغ من تلاميذه من أصبحوا حجة في الأدب واللغة والنحو والقراءات ؛ فأبو عبيدة والأصمعي وأبو زيد الأنصاري والخليل بن أحمد ويونس بن حبيب ويحيى بن المبارك اليزيدي ومعاذ بن مسلم وسيبويه كلهم غرس يده وفيض بحره وثمرة علمه فكل فضل ينسب إليهم يشاركهم فيه ، وكل علم إنما هو الذي فتح لهم أبوابه وأنار لهم سبله .

زهده :

إن هذه النفس الصافية التي انقطعت للعلم ونشره قد لجأت إلى بارئها وأخلصت له راجية أن يشملها بعفوه شاكرة له توفيقه وجزيل نعمه ، فما كان يدخل شهر رمضان حتى ينقطع عن إنشاد الشعر ويختم القرآن كل ثلاث ليال مرة . وكان نقش خاتمه :

وإن امرأ دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

ولما بلغ به النسك مداه أحرق جميع دفاتره التي كانت ملء بيته إلى السقف لينقطع إلى قراءة القرآن .

أصول قراءته وأثر شيوخه وقبيلته فيها :

كان لشيوخ أبي عمرو في القراءة أثر ولقبيلته أثر :

١ — فتسهيل الهمز عادة لغوية للحجازيين تخالف قبيلة أبي عمرو، لكنه تأثر بشيوخه فكثيراً مايشارك نافعاً وابن كثير وأبا جعفر وابن محيصن وهم قراء مكة والمدينة الذين أخذ عنهم أو شاركهم فيمن تلقوا عنه .

٢ — والإمالة عادة لغوية لقبيلته تميم ومن شاركها من سكان نجد ؛ لهذا كانت الإمالة من أصول قراءة أبي عمرو إلا أن إمالته لم تكن كبرى ، بل هي بين الصغرى والكبرى؛ فليس كقراء الكوفة ولا كقراء الحجاز ، بل بين المذهبين . وغالباً مايشاركه في الإمالة الأزرق من رواية ورش عن نافع إلا أن إمالة الأزرق صغرى ، وقد زيد أنه يميل ما لا يميله أبو عمرو ، وقد تكفلت كتب القراءات بشروط كل منهم فيما يمال .

٣ — تسكين الوسط المتحرك من تخفيف قبيلة أبي عمرو، ولهذا كان التخفيف مما يسلكه في قراءته وقد يشاركه فيه غيره ومع هذا قد يتفق مع نافع وابن كثير وأبي جعفر وابن محيصن في فتح ياء المتكلم إذا وقعت بعدها همزة قطع مفتوحة مثل إني أعلم ، ويتفق مع نافع وأبي جعفر في فتحها إذا وقعت بعدها همزة قطع مكسورة مثل من أنصاري إلى الله .

٤ — الإدغام : يظهر أن الإدغام من عادة قبيلة تميم اللغوية . وللادغام في القراءات أسباب وشروط وموانع فإذا وجد الشرط والسبب وارتفع المانع جاز الإدغام . وأسبابه :

١ — تماثل الحرفين بأن يتحدا مخرجاً وصفة كالباء في الباء

٢ — التجانس : بأن يتفق الحرفان مخرجاً ويختلفا صفة كالدال في التاء .

٣ — التقارب : بأن يتقاربا مخرجاً أو يتقاربا صفة أو يتقاربا مخرجاً وصفة . وقد اختص أبو عمرو بما يسمونه الإدغام الكبير فهو يحرص عليه ويمتاز به عن غيره من القراء ، وقد يشاركه بعضهم في نوع منه ، وقد تكفلت بتفصيل ذلك كتب القراءات

أما اختلاف القراء في أن الفعل بالغيبة أو الخطاب ، أو أنه رباعي أو ثلاثي أو أن الاسم منون أوغير منون ، وما شابه ذلك مما ليس من الأصول العامة ، ولا يعرف إلا عند فرش الحروف أي تلاوة الآيات ، فإن أبا عمرو كثيراً ما يوافق شيوخه الحجازيين فيما اختاروه .

وفاته :

في سنة ١٥٤ هـ تقريباً توفي أبو عمرو في الكوفة عند عودته من دمشق حيث كان في زيارة لواليها عبد الوهاب من بني العباس . قال أبو عمرو الأسدي : لما أتى نعي أبي عمرو أتيت أولاده فعزيتهم عنه ، فأني لعندهم إذ أقبل يونس بن حبيب فقال : نعزيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبهاً له آخر الزمان . والله لو قسم علم أبي عمرو وزهده على مائة إنسان لكانوا كلهم علماء وزهاداً . والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسره ما هو عليه . ويروى ابن الجزري أن قراءة أبي عمرو في القرن الثامن ومفتتح التاسع كان عليها الناس بالشام والحجاز واليمن ومصر » . ولقد كانت إلى عهد قريب منتشرة بصعيد مصر ، ثم طغت عليها رواية حفص عن عاصم . رحم الله أبا عمرو رحمة واسعة .

عبد الستار أحمد فراج
محرر بالمجمع اللغوي

مصادر البحث: (١) النشر (٢) إتحاف فضلاء البشر (٣) المكرر (٤) غاية النهاية (٥) الأغاني (٦) ابن خلكان (٧) بغية الوعاة (٨) نزهة الألبا (٩) أخبار النحاة (١٠) دائرة المعارف الإسلامية (١١) معجم الأدباء

الأدب الشعبي في الكويت

للأستاذ أحمد طه السنوسي

إن إمارة الكويت بحكم بيئتها ونشأتها وتكوينها قد خلقت لها أدباً شعبياً مشبعاً بظروف تلك النشأة والبيئة والتكوين ، فهى تقع بين بصرة العراق فى الشمال والغرب ، والمملكة العربية السعودية فى الجنوب بمدتوسط من المنطقة المحايدة ، والخليج العربى (الفارسى سابقاً) فى الشرق ؛ وهى إمارة حديثة التكوين تاريخها لا يتجاوز الثلاثة قرون ، وقد كان أكثر أهلها من القبائل النجدية والأحسائية ، وبذلك نرى أن مرتعها عربى قح ، كما نرى أن النجدية والأحسائية كان لهما أكبر الأثر فى أدبها الشعبى ، فبدا قوياً صريحاً فيه الإلهام الصحراوى وفيه الصلابة البدوية وفيه شىء من الجفاف ، ولكن الصحراء كثيراً ما أضفت عليه الجمال البارع وأمدته بروحها البريئة فى نغمات عذبة حنون . وقد طرق الأدب الشعبى الكويتى جميع أغراض الشعر فأجاد فيها وأبدع ، ولكنه لم يبلغ فى ذلك شأواً بعيداً ؛ لأن الكويتيين لا يولونه كثيراً من العناية والتدليل ، إذ أن شعراءهم الكبار بأدبهم وأشعارهم الفصحى قد طغوا بها بعض الشىء على ذلك الأدب الشعبى المسكين .

بيد أن هناك فئة ممن استهوى الأدب الشعبى أفئدتهم وحفزهم على تشجيعه ، فقامت فى سبيله مدرسة ابن فرج وابن فوزان ، وامتازت تلك المدرسة بالهام عذب وخيال خصب ومعان سامية ووشى جذاب ، وبعد ذلك ولجت الكويت باب التطور والارتقاء وكانت على بابه منذ قليل ، وتطورت فيها الحالة الثقافية والعلمية والأدبية ، وكان قمينا بالأدب الشعبى آنذاك أن يثب بنفسه ويطفر الطفرة اللائقة للتطور ، ولكن التطور الحديث أضعف شوكة الأدب الشعبى على عكس ما كان متوقعا .

وأنا أرى أن السبب فى ذلك أن النفوس كانت مهيأة لاستقبال التطور استقبالا أنساها كل شىء ، كما أميل إلى القول بأن الأدب الشعبى كان فى بدايته قوياً صارماً فيه صلابة وجفاف إن استثنينا بعضه ، ونفسية الشعب الكويتى نفسية ساكنة وديعة تميل إلى خيال الحقيقة لا إلى حقيقة الخيال ، كما أن تطور الحالة الأدبية والعلمية لم يكن تطوراً كاملا تم فى لحظات ، بل ما زال إلى اليوم يدلف فى دربه اللاحب ليصل إلى الأنوار والأضواء وبذلك وجد التطور هوى فى النفوس الكويتية ، هوى فيه مقدمات وتمهيدات تدعو للتطلع والاستطلاع عما يبقى من أضوائه فى ثنايا الأفق . هذا وكانت النفوس متعطشة إلى الاستزادة من الثقافة والعلم ، فوجهت همها لتكملة ما يأتى به التطور ولمساعدة أشعته على النفاذ ولحشد جموع استقباله ، فتضاءل الأدب الشعبى وهو ينظر كاسف البال إلى ذلك الأعراض ، ولكنه ربما يسره فى قرارة نفسه منتظراً ساعة النتيجة السعيدة لحداثة التطور ، فتؤوب إليه النفوس وتدفع العلوم الطريفة والفنون الجديدة مريديه لأن يحتفلوا ويحفلوا به ويهيئوا له الظرف المناسب ليأتى بالثمرة المرجوة منه والتى آتت بعض أكلها حين لاقى الإقبال والابتسام ، فكان مهداً لإصلاح النفوس وكان حافزاً للهمم وكان دافعاً للحماسة وكان موقظاً للعزيمة والبسالة كما كان سبيلا للدعاية الصالحة ...

* * *

كان العيد يزهو بدلاله ويرفل فى غلائل نخوته ، وكان يومه مشرقاً مزدهراً ، ونظر أحد الفقراء فى الكويت إلى مباهجه ومسراته التى حرم منها ، ثم أخذ يقول :

وين القماش اللى من الدر جبنا الله عليهم وإن كاوا من تمبنا
هذى السنة صارت علينا فضائح أنتم تبون إفلوس واحنا مفاليس
قل أنتم أهل الجودات وأهل المروة
مير شىء حدث فيكم يا ناسى توه
أشوف بالوقت تاخدونا قوه ياما حديتونا بمجر ودبابيس

ونحن إذ نستمع لهذا القول قد نفهمه وقد لا نفهمه ، وأستطيع أن أشرح بعض المعانى لبعض كلماته على سبيل المثال ليتسنى لنا فهمه والحكم عليه .

فوين : أين ، القماش : اللؤلؤ ، اللى : الذى ، جبنا : أتينا ، تبون : تريدون ، إفلوس : دراهم ، مير : لكن ، توه : الآن ، حديتونا : سقتونا ، والمجر جمع مجر : عصا ملوسة الرأس ، والدبابيس جمع دبوس وهو عصا فى رأسها قطعة من قار أو حديد .

ولندع هذا وننظر إلى هذا الشعر الشعبي الذي طالما أحبه الأطفال الكويتيون ورددوه .

يا هل (أهل) الشرق مروا بي على الفيصرية (حي كويتي)
عضـدوا لي وتلقون الأجـر والثواب
واطلبوا دختر (طبيب) المشـاق يكشف على
كود (يمكن) يمسح على جرحي ويبرا صوابي

وقال الشاعر الشعبي الكويتي الكبير (فهد بورسلي) :

يا طـير بلى كلما طار زاد العنا والهم فيه
من يبتلي بحب البكار (الأبكار)
ضاجت (ضاقت) عليه أرض وسيعية (واسعة)
وقفت أنا والبال محتار يا هل النظر ردوه عليه
مامن جريب (قريب) يأخذ الثار من ساهي العين السجية

وفهد بورسلي أضعه في مرتبة كبرى من الشعراء الشعبيين في الكويت ، ولكن المأخذ الأوحد الذي آخذه عليه هو أن شعره يشوبه قليل من الانحلال في تركيبه ، بيد أنه شاعر له من لطف الشاعر وجميل الإشارات وبديع اللفتات وبهيج المعاني ما يقدمه في صفوف الشعراء .

وقال محمد فوزان :

أهلا عدد ما هلاوا بالساجد	أوعدد ماركب سرى يخبط البيد
بكتاب من نظمه سواة القلايد	ومرصع بالدر يزهي على الغيد

وقال عبد الله الفرج في الغزل :

عزيز لشـلى ما بوني وبينه	ومسهد بين التجافي والأبعاد
ما يختفي منـه غرام ببينه	نوحه إذا نام الخليلون يزداد
وبلومك اللى ما بدا بالضنينه	ولا شغف قلبه من الخود مياد

ولى ملاحظة على أقوال هذين الشاعرين الكبيرين (ابن فرج وابن فوزان) فكثيراً ما أرى شعرهم محتفظاً بالصبغة الفصحى ، فتلتقي فيه كلمات عربية فصيحة كثيرة لو أنعمت النظر في قراءتها وفي بحثها على حدة ألفيتها ترجع بالفكر إلى كلمات الشعر الجاهلي ، أما وقد زار ابن فوزان بعض البلاد الرائعة كلبنان الجميل ووجد الرقة والعذوبة في الألفاظ الشعرية السهلة لا في التضخم الجاهلي ، فسوف يتحول وسوف يضفي بدائع الثقافة الجديدة مع الألفاظ الحرية على شعره الشعبي الرائع فيزداد حلاوة وعذوبة ويبزغ لنا من جديد مختالا خالماً تسرح العقول في سكرات من الحنين حين تتلاعب به لوامع الشفاه .

وقال أحد شعراء الكويت النبطيين :

لا تبتلي ذا الناس في شيل الأثقال	تبلى بهم مثل الطفل في رضاعه
لو طاح منهم طايح ما حد شال	حمله ولو شول لك الله كراعه
رجل بليا مال ما هو برجال	لو هو على الشدة طويل ذراعه

وقال أحدهم في الهجاء :

ناس أرانب وألسنتهم حدايد	والدهر معطيهم اقبال وتصميد
واللى على قلبه مدق السمايد	والمتنى جوفه يحب المواليد

ومن طريف الغزل قول أحدهم :

شاقول يا هل الهوى شاقول	وهذا نصيبي من الخلاني
ومضمراً والشعر منسول	ليجيت أحب النحر غطاني

والحب بفتح الحاء عندهم هو التقبيل ، ولعل تلك الكلمة مستعملة في الجو الريفي المصري . ونستطيع أن نلمس الجمال والبراعة في الشطر الثاني من البيت الثاني ، إذ قد طغى جماله فتتزاحم في الفكر أخيلة حالة تشعر المرء بالانتعاش في قرارة نفسه ، كما تشعر عند تلاوة الشطر الأول من نفس البيت .

أما الرثاء ، فإن الكويتيين كما عرفتهم لا تحتل الأحزان والأشجان مكاناً من قلوبهم ، وإن احتلت فالصمت والهدوء ديدنهم . ولقد تعجب إذا مات لأحدهم عزيز فتراه ساكناً لا يفعل ما يفعل سواه في متباين الأقطار العربية . وقد تعجب لدهشته من كثرة عباراتك المواسية ورثائك وتفجعك من هول المصاب؛ لأنه يرى الموت أمراً محتوما ولا راد لقضائه ، فهو فيلسوف في هذا الظرف الحزن ، وبالرغم من ذلك فقد اخترق الأدب الشعبي الطريق ليبين لنا أن الكويتي وإن كان فيلسوفاً ساكنا إلا أن في فؤاده من الحزن دمعاً لا يتعدى نطاق القلب وسويدائه ؛ فأخرج الشعراء درراً شعبية في الرثاء تؤثر في النفس تأثيراً عميقاً ، من هذا قول أحدهم :

الله من خطب دهانا بالأبكار — أدمى القلوب نشب فيها السمار
يا موت حسبك من تسقيه الأحرار
كاسات ليمات تفت السرار
وسط اللحود وبين ملتف الأحجار
في ذمة المولى رهين القبار

ولقد احتل الأدب الشعبي مكانة عظمى من الأغاني والأناشيد

أساليب التفكير :

التفكير فى الشرق القديم

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجى

كل منا يسعى إلى استكناه أسرار الوجود ، وكشف الستر عن خباياه ، تتتابع على مشهد منه ظواهر الطبيعة ، وتتوالى أمام ناظريه مواكب الأحياء ، وتترى تحت سمعه وبصره أحداث الإنسان : فيعمل الفكر بغية اكتشاف أسباب هذه الأمور ، والبواعث التى تحدثها وتسيرها ، والغايات التى تتجه إليها والحكمة الكامنة وراءها . وجملة القول أن الإنسان يحاول تفسير ما يبصر وما يسمع وما يعى ، وتختلف تفسيراته تبعاً لتقدمه الفكرى ومرتبته من التطور العقلى .

من أجل ذلك اختلفت تفسيرات الطفل عن تفسيرات الراشد المكتمل ، وتفسيرات المجنون عن تفسيرات العاقل المتزن ، وتفسيرات البدائى عن تفسيرات المتمدن المتحضر . اتفق الجميع على أمر واحد : هو البحث عن الحقيقة ما امتدت بهم أسباب الحياة ، ولكنهم يسلكون سبلا ثلاثا أقصرها وأسلمها سبيل العلم ، وأرحبها طريق الفلسفة ، وأدناها وأكثرها التواء ودورانا حول الحقيقة طريق التفكير الخرافى .

وقد حدثت القراء فى مقال سابق عن التفكير الخرافى فى حياة الفرد ، وانتهيت معه إلى أنه برغم بعده عن الحقيقة الموضوعية ، وانحرافه عن القصد فى محاولة بلوغ الواقع ، يعد وثبة أولى فى طريق العلم والعرفان ، ومحاولة ساذجة لكشف أسرار الوجود ، ومرحلة لا زمة فى التطور الفكرى لا بد مسلمة إلى ما هو أرقى : إلى الفلسفة والعلم .

والبشرية فى تطورها الفكرى كالفرد فى تطوره الفكرى . لم تكشف عن قوانين الجاذبية ، ومدار الأفلاك ، والقوة الكهربائية ، والطاقة الذرية ، إلا بعد جهاد عنيف ، وكفاح فكرى شاق دام آماداً طوالا ، ومحاولات مضنية كان أولها التفكير الخرافى الذى يسم العقل البشرى فى طفولته .

الكويتية بأنواعها ، وأنا أذكر بيتاً من نشيد نبطى هو :

لابتى (يا أصحابى) حناشبوب الحرايب (الحروب)
وانطفت حنـــا ســـنا نارهـــا

كما أذكر أغنية من (أغانى الموازم) وهى نوع من الغناء تطرق إليه الأدب الشعبى الكويتى :

وأمسى الضحى باديا فـــريج (فريق) مصبح
جينا الطوع (أتينا الشيخ) يحدث أى الأبصار
يقول : طرد (أى طالب) الهوى نارن (نار) شمالى
والله لا أسمع حــديثه لو يجنه (يجن)
وانبع هوى البيض فى هرجن (الكلام) يقالى

وملاحظتى الأخيرة عن هذا الأدب الشعبى أنه لم يتبذل فى القول ، ولم يتخذ عامى الكلام سبيلا للنكات الفاحشة والأغراض السقيمة بل هو ذو أغراض طيبة تجنى الكويت من ورائها كل خير وكل فائدة .

وما هو إلا قليل من العناية وقليل من التشجيع ومزيد من الثقافة الجديدة التى أفعمت سماء الكويت وأرضها تضفى على الأدب الشعبى حتى يكون فى مصاف الآداب الشعبية . وأنا أرى أن الكويت فى حاجة ماسة إليه لتتخذه وسيلة لدعايتها الوطنية ، وقد جربت فيه ذلك فوجدت الدرع الفولاذى والفكر العبقرى .

ولا يغيب عنا أن اللهجة الكويتية الأثر البين فى الأدب الشعبى فى الكويت ، وسأبحث تلك اللهجة فى مقال مقبل بحثاً مستفيضا ، إذ أن قراء العربية فى حاجة ماسة لأن يعرفوا الشىء الكثير عن الكويت ، وقد ارتقت رقيا باهراً فى أوقات قصيرة ؛ بيد أن وهن الدعاية وقلة أساليب التعارف ووسائلها بين أقطار العالم العربى يحول دون إبداء الحقيقة والمعرفة الصحيحة ، وما أحوجنا إلى إبدائها ونحن فى فترات أحوج ما نكون فيها إلى التآزر والتضامن فى جميع عناصر الحياة .

أحمد طه السنوسى

فالتراث الفكرى الذى خلفته أجيال البشر يبين أن أول مرحلة من مراحل التفكير كانت مرحلة دينية صرفة ، يمتزج فيها التفكير بالخيال .

ونحن نعلم أن الفكر الإنسانى بزغ أول ما بزغ فى الشرق القديم : عند المصريين والفرس والأشوريين والبابليين والهنود والصينيين . ونظرة عامة إلى ما خلف هؤلاء من محاولات تفسيرية تكشف عن غلبة العاطفة الدينية ، وسيطرة التقاليد الموروثة ، والجنوح إلى الخيال .

ولا بد لتفكير يصدر عن الأهواء والعواطف ، ويستمد المعارف من الخيال والأوهام ، ويستهدف السعادة فى الدنيا والآخرة ، لا بد لتفكير هذا شأنه أن ينتج عقائد دينية ، وفنوناً جميلة ، وحكمة أخلاقية ، كل ذلك فى مزيج واحد متفاعل لافرق فيه بين علم وفن ودين وأخلاق ، حتى لنجد علماء القرون الغابرة هم شعراؤها وحكماؤها وكهنتها فى آن واحد .

ألا ترى إلى الكهنة المصريين فى العهد الفرعونى يرعون الدين ، ويحمون الفضيلة ، ويحملون رسالة العلم ، ويرفعون لواء الحكمة ، ويوجهون سياسة الدولة ، ويتحكمون فى مصير الشعب ؟ أولم يكن شعراء العرب فى بداوتهم ، وشعراء اليونان قبل عصر الفلسفة قادة الفكر وقادة المجتمع فى هذه الربوع ؟ فامرؤ القيس والنابغة والأعشى وزهير فى جزيرة العرب ، وهو ميروس وصحبه ممن طمست الأحقاب أسماءهم فى بلاد اليونان .(1)

وهل ننسى أن زرادشت حكيم الفرس كان داعية دينية لعقيدة تحمل بين ثناياها فلسفة ناشئة ؟

وهل كان بوذا الحكيم الذى خلد فى تاريخ الفكر بحكمته الأخلاقية وتحرره الفكرى وآرائه السياسية ، إلا كاهناً لإحدى القبائل الهندية الكبرى وابنا لشيخها ؟

وجملة القول أن التفكير الخرافى فى الشرق القديم يتصف بخصائص ثلاث : الخضوع لسلطان الدين أى التقاليد الموروثة المقدسة ، والاتجاه الخيالى ومن هنا كانت صلته الوثيقة بالفن ، والنزعة الأخلاقية .

وعلينا الآن أن نستعرض أمثلة من الفكر الشرقى القديم

(1) انظر كتاب قادة الفكر للدكتور طه حسين .

مبتدئين بالتفكير فى مصر القديمة .

لم يكن للمصريين دين واحد ، بل أديان عدة اختلفت باختلاف الأقاليم ، وتطورت مع تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى وادى النيل . وقد برزت الديانة المصرية القديمة كعامل هام فى حياة الشعب ، فى عهد مشيدى الأهرام كخوفو وخفرع وأوناس ، وفى عهد الملوك الغزاة كتحتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى(1) .

والذى يهمنا فى هذه الديانة هو تصور المصريين للكون ، وسذاجة تفسيراتهم لأحداثه : فهذا أمنحتب الرابع ، الذى عبد آتون (قرص الشمس) فسمى لذلك « أخناتون » أى روح آتون ، ينشد مخاطباً قرص الشمس معتبراً إياه علة الظواهر الطبيعية ، وقوة روحية تدبر الكائنات :

« يا شمس النهار ، يا من تخشاه البلاد القاصية
أنت موجد حياتهم
أنت الذى خلقت فى السماء نيلا
لكى ينزل عليهم ولهم .
يتساقط الفيضان على الجبال كالبحر الزاخر
فيسق مزارعهم وسط ديارهم .
ما أبدع تدابيرك يا إله الأبدية ... »

هذا ولم يكتف المصريون بعبادة الشمس من حيث هى مصدر الحياة ، وإنما قدسوا النيل ، واتخذوا من السماء إلهاً ، ومن الكواكب أرباباً ، كما يتبين من دعاء ورد فى إحدى أوراق البردى ذلك نصه : «أنت الإله الأكبر ، سيد السماء والأرض ، خالق كل شىء ، يا إلهى وربى وخالقى ، قوِّ بصرى وبصيرتى لأستشعر مجدك ، واجعل أذنى صاغية لأقوالك ... »

وهكذا يتبين تأليه المصريين لقوى الطبيعة بحكم بداوتها الفكرية ، شأنهم فى ذلك شأن الطفل : موضوعات الدين فى ذهنه صور حسية خيالية ، لم ترق بعد إلى المستوى العقلى التجريدى؛ الطفل الذى يميل بحكم طوره العقلى إلى أن يضفى على الكائنات جامدة كانت أو حيوانية صفاته الإنسانية ؛ فيرى الشمس والقمر

(1) أنظر كتاب الأدب والدين عند قدماء المصريين تأليف الأستاذ أحمد زكى .

والنجوم حاصلة على صفات الكائنات الإنسانية ، من قدرة وإرادة وفهم ، الأمر الذى يجعله حينما يصطدم بحائط أو باب صدمة تؤلمه ، ينهال عليه ركلا ، مفرغاً فيه حنقه كما لو كان الحائط أو الباب ذا إرادة شريرة ، وكما لو كان يحس الألم كما يحسه هو .

وهذا يذكرنا بأحد الأباطرة القدماء الذى انهال على مياه البسفور ضرباً بالسلاسل لأنه اجترأ فاكتسح أسطوله .

فسلوك المصريين القدماء إزاء قوى الطبيعة المعبودة ، وسلوك الطفل إزاء الباب ، وسلوك الامبراطور الحانق على البسفور سلوك ناجم عن تصور خرافى للحوادث ، وتعليل وهمى لها

آمن المصرى القديم بخلود الروح . ولا يسع من يستعرض مقابره ونقوشه ومعابده إلا أن يستوثق من سيطرة هذه العقيدة على ذهنه سيطرة أذهلته عن واقع الحياة ، ومن شوقه المتحرق للعالم الآخر ، شوقاً أطلق الخيال يجوب فى آفاق هذا العالم المجهول ، فيرسم صورة لحياة الروح بعد مغادرة الجسد ، صورة هى لوحة فنية لا أثر للعقل فيها ، ولا فضل للبرهان فى تثبيتها ، إنما الفضل كل الفضل للخيال الذى أنتجها ، والعاطفة الدينية التى ألهمتها .

هذا « أوزوريس » الإله الصالح (رمز الخير والعدالة) رأس محكمة العدل الكبرى ، يجلس على عرشه فى صدر قاعة يكلل سقفها القناديل وعلامات الحق ، وأمامه أحفاده أبناء « حورس » وآلهة أركان العالم الأربعة ، ومعهم اثنان وأربعون قاضياً ، بعضهم برؤوس بشرية ، وبعضهم برؤوس حيوانية ، وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة رمزاً للمعبودة (معت) ، ممثلة الحق والاستقامة والعدل ، وفى يد كل منهم سيف لقتل الخاطىء ، ووظيفتهم ملاحظة ما يظهر فى كفتى الميزان الذى يزن الحسنات والسيئات .

وأمام « أوزوريس » وحش مفترس متحفز لافتراس الميت إذا رجحت كفة خطاياه . ثم يقف الميت على باب قاعة العدل خائفاً مرتعداً فى الساعة الرهيبة التى يقرر فيها مصيره ، ويترافع عن نفسه ، ثم يصدر الحكم بالبراءة أو الإدانة ؛ حتى إذا انتهت المحاكمة أمر « أوزوريس » بالفائزين إلى الجنة وبالخاسرين إلى الجحيم .

هذه أفكار الخلود والثواب والعقاب ، كما يصورها كتاب الموتى تصوراً حسياً خيالياً ، دون برهان ودون تفكير عقلى خالص . إنما هى محاولة فكرية لمعرفة ما وراء الموت ، ومصير المذنب ونهاية المحسن ، محاولة استخدمت فيها الوسيلة الوحيدة التى يسمح بها ذلك الطور من النمو العقلى : طور الخرافة والعاطفة .

وما دمنا بصدد الحديث عن المذنب والمحسن ، أو عن الخير والشر فلننتقل إلى « زرادشت » ، أبرز حكماء الفرس ، الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد ، وخلف ديناً لا يزال له أتباع حتى اليوم فى ربوع الهند وغيرها .

وقف زرادشت حائراً فى عالم متناقض فيه الخير والشر ، والجمال والقبح ، والسعادة والشقاء ؛ وأعمل فكره محاولا تفسير شطرى الوجود فتصور العالم نهباً لروحين متصارعين : أورموزدا وأهريمان . الأول إله الخير ، صانع السماء والأرض والبشر والملائكة الأبرار ؛ والثانى إله الشر ، علة الموت ومفشى الرذائل ومحدث الأمراض والشياطين . الأول يؤلف مع ملائكته وأتباعه الصالحين حزب الحق ، والثانى يؤلف مع شياطينه والكفار المنافقين حزب الباطل . والحرب بين الحزبين سجال . ولكن زرادشت حكيم متفائل ، يدفعه تفاؤله إلى تصور نهاية سعيدة للرواية الكونية ، إذ يغلب الخير فى النهاية ويصبح العالم كلا واحداً متجانساً إلى أبد الآبدين .

(البقية فى العدد القادم) عبد المنعم عبد العزيز المليجى

إن جسمي من بعد خالي لخل

للأديب ناصر الدين النشاشيبي

(بمناسبة ذكرى وفاة العلامة النشاشيبي)



أبكيك اليوم يا خالي في يوم ذكراك وكأنني فقدتك في أمسي القريب، وأتوجع عليك بعد عام في مرارة القريب وأسى الحبيب، فلا أدري أأحدثك عن نفسك – وأنت أشد الناس عداوة للحديث عن نفسك. أم أنقل إليك أخبار وطنك وأنباء أمتك – وأنت أحرص أمة محمد على أرض الرسل ومسرى الأنبياء، وأشد الناس فخراً بخير أمة أخرجت للناس... فيبكيك حديثي، ويشجيك نواحي وأنيني، ويزعجك في مثواك الأخير صيحات بلدك الممزق، وأمتك المشردة، وتراثك الضائع، وأملنا المفقود !!

كيف أبكيك وما عرفتك إلا جباراً في جميع نواحي حياتك؟ إن تحدثت خرجت كلماتك كالقذائف من أعماق نفسك، وإن خطبتَ – وما عرفتك خطبت – إلا بكيت وأبكيت. وما سمعتك تحدثت إلا أثرت وتأثرت، وما قرأت لك إلا تمثلتك أحد الصحابة في إيمانك وصوفيتك، وما من مرة ورد ذكرك على لسان الناس إلا رجعوا بذاكرتهم إلى عصر النبي وأيام الجاحظ وأبي عبيدة والمبرد وصفوة الأدب الخالد... يتحسرون على بحور العلم وقد مسها الجفاف، وموسوعة الأدب والعبقرية وقد احتواها – ويا أسفى – التراب !!

هذا حديثي إليك بل بكائي عليك على صفحات رسالة صاحبك إمام النثر كما كنت تدعوه. وهو يسألني عن « النقل » فلا أجده، وعن الحديث فلا أسمعه، وعن المجلس فلا نبصره، ثم نفتقدك في أيام الشتاء – أيامك في قاهرة المعز – فنجد مكانك المعتاد وقد أقفر من الصحب والخلان، وزوارك العارفين والمعترفين وقد تخلفوا عن الركب وانقطعوا عن الزيارة، وما زالوا في دهشة من أمرك، وحيلة من مصيرك، يسألون ويتساءلون: – كيف..؟ كيف تخلفت، وكيف غبت، وكيف انقطعت يا أعز الراحلين.؟!

إن قلبي ليبكيك بلسان الكثيرين من تلاميذك وزملائك وقد عشت لهم مخلصاً ومتفانياً في أدبك، وجاهدت في سبيلهم بجهادك القوي في سبيل المعرفة، ومشيت معهم نحو دنيا النور والعلم فما كلت لك عزيمة، وما وهنت لك إرادة، وما عرفت معنى للضعف وأنت تصل الليل بالنهار في دراساتك وأبحاثك متنقلاً بين القاهرة « موئل العرب والعربية » وبيروت (وبيروت مدينة تهذيبي) وحلب الشهباء بلد صديقك إبراهيم « سلام على إبراهيم » ! وبغداد حصن السعدون « وأمة منها السعدون لن تموت » ! وكنت في كل أطوار حياتك المثل الأول لمن يحيا في سبيل فكرة – فكرة محمد ولغة محمد ! ولمن يجاهد في سبيل مبدأ – مبدأ العرب والعربية. وهذه الإشارات تملأ أرجاء قصرك – « يا محمد . !! » وهذه الآيات البينات تزين أسوار بيتك – « أنا عبدك يا رسول الله . ! » وهذا الضعف في كبرياء القوي وهذه القوة في تواضع المسلم وهذا الإخلاص للغة الكتاب « أنا عبدها .. أنا عبد عبدها .. أنا عبد كل عبد يسود بعبديتها » وهذا تراثك في محمد ولغته ورجاله وهذا « إسلامك الصحيح » و « بستانك » و « كلماتك » و « نقلك » و « خطبك » وكل ما كتبت ونقلت وصححت وراجعت الدليل الصادق على أنك عشت وما عشت إلا لإسلامك، وعملت وما عملت إلا للغتك ولغة نبيك !

نشأت ثائراً على الدنيا وأنت وحيد أبويك فثرت عليهما وعلى الأهل والقربى. وترعرعت بين الخير والنعيم فدفعته بيديك ورغبت عنه لتشبع نفسك بصوفية الأقدمين، وزهد المؤمنين، ومشيت في خطوات الحياة لا أنيس لك إلا الشاعر أو ديوانه،

أنانيـــــة مجرب

للأستاذ ثروت أباظه

صاحبي شاب رقيق العاطفـة ، جياش الحس ، يلذ له أن يقف منـك موقف الناصح ، ولـكنه إذا فعل سار على نهج لا تـكلف فيه حتى لا تملك تلقاء حديثه إلا أن تميره الأذن الواعية والروح المقبلة . وأنت حبيب إلى نفسه ، مقرب إليها ، إذا قبلت منه نصحه . وأنت أكثر حباً إلى نفسه وأكثر قرباً منها إذا ظهرت أمامه خالياً من التجاريب مقبلا على دنياك إقبال الطفل . إنه إذ ذاك يفرح أن جرب هو ولم يجرب من هو أكبر منه ، وأن يقف هو إلى هذا الأكبر موقف الناصح المرشد الذى خبر من المـاضى ما يكشف به عن القابل .

لعلى بهذا الوصف أكون قد ألقيت الضوء على عيبه الواحد . فإنك لتراه بعد هذا شفيف الروح ، مهذب اللفظ ، مرح الدعابة واسع الاطلاع ، دقيق اللفتة . أما عيبه الذى ذكرت فأمره علىّ يسير . إن صلتى به توثقت حتى لا يزيفها غش أو توهنها مصارحة ؛ فتراني إذا نصح ناقشته مقبلا على النقاش فى غير ضيق فقد مرن منى على هذا الأمر حتى أصبح يعد لـكل نصيحة نقاشاً ، ولـكل حكمة اكتسبها من نثار تجاربه حججاً وبراهين وأمثالا . وأنا مع ذلك حبيب إلى نفسه مقرب إليها لا يمل نقاشى ولا أمل نصائحه .

أقبل يوماً على مجلسنا تعلو وجهه سمات الجد والرزانة فعرفت أن حالة النصيحة قد أدركته وأنه يريدنى على أن أسمع بعضاً منها ؛ وكم أكون كريماً لديه لو سمعتها جميعها .. عرفت هذا فانتحيت به ناحية وقلت :

— مالك ؟

— إسمع ، لقد أثبتت تجاربى أن كل الناس أشرار .. وأنه يجب على الإنسان أن يقبل على أصدقائه شاكا فى ولائهم ، حذراً من شرهم ، فليس فى الناس صديق ، وليس فيهم إلا الخؤون ، وإنك إذا توقعت منهم الخير ثم فجئك الشر دكت الواقعة من كيانك مهما تفهت ، أما إذا توقعت الشر ثم طالعك الخير فإن ذلك يفرحك ، ولـكن حذار مع هذا أن تأمن الجانب وتطمئن فقد يمهد الخير للشر كما يمهد الدفء للحريق .. إبق على شـكك وحذرك فالـكل شرير .

ولا جليس معك إلا الـكاتب أو رسالته ، ولا شاغل لديك إلا البحث والدرس واستقصاء والتحقيق ، فحرمت نفسـك الزوج والولد بعد أن حرمت والديك لذة الحرص على صحتك والعناية بنشأتك والفوز بقوتك ، وكأنك أردت لنفسـك طريقاً خاصاً فى أسلوب حياتك ، ونسجت لذاتك منوالا فذاً فى جوانب تفكيرك ، فـكنت كما عرفك الناس ، فريداً فى أسلوب أدبك ، وحيداً فى تصوير خطك ، ذايقاً — فى عفـة — فى لسانك ، ثائراً فى انفعالات عواطفك وأعصابك ، متوقداً فى ذهنك وتفـكيرك ، بسيطاً فى ملبسك ، منطوياً على نفسـك البريئة ، وروحك العذبة وقلبك الذى ما خفق إلا بالحب والوفاء . هكذا نشأت ، وهكذا ترعرعت ، وفى سبيل هدفك صرفت وضحيت .

وبيتك كعبة الحجاج من أهل الفضل والفضيلة ، ومجلسك قبلة الأنظار من أهل العلم والمعرفة ، وأنت .. أنت الروح فى كل مجلس ، وأنت الحجة فى كل حديث ، وأنت المتمكن من كل قول ، وأنت الرقة فى كل سمر ، وأنت الراعى لـكل تراث .!

أين أنت ؟ ولمن خلفت عربك وعربيتك ؟ ولمن تركت « رسالتك » و نقلك » ؟ ومن أولى منك « يا إمام العربيـة » بتراث العربية ؟ وأنت خادمها ، وأنت عبدها ، وأنت لها ، وأنت المدافع فى كل حين عنها ، وأنت القائل منذ أربعين عاماً أو يزيد :

فإنى بأرض الشرق أخدم أمتى ... وأرجو لها فى كل واقعة نصرا
أخوض غمار الكون بالعلم والتقى ... ولا أسأل القوم المطاعم لى الأجرا

يا أبا عبيدة ! إنى عليك لـكلوم ، ولفقدك لحزين ، وإن حرمتنى الأيام منك فى حياتك — وأنا فى مهد الصبا ، ومقعد الدراسة — ثم حرمتنى منك بعد أن حرمك الموت من نعمة الحياة ، فإن ذكراك ستبقى حية عندى ما حييت ، وستبقى خالدة على مدى الأيام ما بقيت العربية . !

يا خالى ...

عليك رحمة الله .. وإلى اللقاء ..!

ناصر الدين النشاشيبى

— حسبك .. حسبك فإنني أرى النوبة قد عادتك ، ولكنك في هذه المرة على غير مألوفك من الأدب ؛ فها أنت ذا ترميني في وجهي بالشر وسوء الطوية .. ألست واحداً من أصدقائك الأشرار؟ بل إنك لتزيد فتريدني أن أظن بك السوء بلا موجب أراه أنا ! ولكن أتريدني حقاً أن أصدقك ؟ أجادٌّ أنت فيما تقول ! أمشي مع الناس فلا أرى غير الشر ولا يخالجني غير الحذر والخوف ! أي تجارب تلك التي أوحت إليك بهذه الشرور ؟ أو تكون مجرباً حقاً إذا فعلت هذا ؟ ما أسهل هذا الأمر وما أصعبه ! إن المجرب يا صديقي — في رأيي — هو الذي يعرف معايير الناس ويزن كلاً بميزان .. يمدحه أحدهم فيصل إلى باعث هذا المديح .. ففي الناس من يبذل المدح ثمناً لخدمة له عندك . ومنهم من يبذله ثمناً لمديح مثله . ومن الناس من يمدح رغبة منه في المجاملة ، ومنهم الصادق في مدحه ، وهذا هو النوع الأمين النادر ، انك لواجده صادقاً في نقده أيضاً إذا نقد .. المجرب هو الذي يفرق بين كل هذه الأنواع ، والمجرب هو الذي يعطي لكل من هؤلاء مكانه الحقيق به من نفسه . أما إذا سوّيت بينهم جميعاً ورميتهم كلهم بالشر . فأنت غر لا تعرف الناس ، ولم تجربك الأيام ولا جربتها. يعز عليك أن تقتنع .. أعلم ذلك ، ولكن ربك ما الذي بعث في نفسك كل هذه الثورة ؟ هل من جديد ؟

— الجديد هو معرفتي أنني الغيري الوحيد بين هؤلاء الناس . أنت تعرف صديقنا فلاناً ، كنت أؤثره وأحبه ، توطدت بيننا الصداقة فأصفيته ودي ، لكنه عرف أنني مقدم على مشروع تجاري فسبقني إليه ، واستعان بسلطان كبير أطاح من يدي الفرصة إلى يده .. أرأيت أنانية كتلك الأنانية ؟!

— نعم .. رأيت أكثر منها .

— أين ؟

— أنانيتك أنت .. إنك — والحمد لله — لا تعرف عن التجارة شيئاً وهي مهنته . وأنت — والحمد لله — في بسطة من رزقك وبحبوحة من عيشك ، وهو يسعى وراء رزقه ، ويشق في سبيله ، لماذا تعترض طريقه ؟

— ولكنني صديقه ، كان يجب أن يستأذنني .

— أو كنت تأذن ! . يا صاحبي إنني أنا وأنت وكل إنسان في العالم أناني بطبعه ، إنك لترى الأنانية في كل خطرة ينشغل بها ذهنك ، وفي كل خلجة يختلج بها قلبك .. إن الخير في ذاته نوع من الأنانية . إنك إذ تقوم بذلك الخير ترجو شيئاً من شيئين : إما ذكراً طيباً في الدنيا ، أو مثوى كريماً في الآخرة . وأنت على الحالين أناني . قد يسمو بك شعورك فتعمل الخير ترضي به نزعة في نفسك ، وأنت في هذه الحال أيضاً تنظر إلى نفسك فتريحها بعمل الخير .. لن تقتنع .. أعلم ذلك ولكنه الحق . وتريد صاحبك على أن يترك قوته لك حتى لا ترميه بالأنانية .. إنه أناني ولكن دعه يأكل ، والله ما الأناني إلا أنت .

— ألا تشعر بأنك تمزح .. أتسوي بين التناحر وعمل الخير .. أإن منعني صديقي عن كسب موشك كان في عمله مثل من يقوم بالمعروف . وتدّعي بعد هذا أنك تعرف المجرب وغير المجرب ، وتبيح لنفسك أن تلقي هذه المحاضرة الطويلة عن التجربة

— قلت إنك لن تقتنع .. ولكن يجب أن أصحح ما قام بذهنك .. لا .. أنا لا أسوي بين العملين ، لكنني أرى في كل منهما أنانية وإن تفاوتت نسبتها .. إن في كل منهما صورة من الأنانية تختلف قبحاً وجمالاً .. ألا ترى ..

لم يطمئن صديقي أن يصبر أكثر من ذلك ولم تسعفه الحجة فقام عني مغضباً دون أن يسلم ، ويعلم الله أين مكاني من نفسه الآن .. ولكنني ما زلت أعتقد أنني حبيب إليها قريب منها .

ثروت أباظة

مسابقة الفلسفة لطلاب السنة التوجيهية : (٤)

(١) النفس عند ابن سينا (٤)

للأستاذ كمال دسـوقى

لا يفوتنى قبل أن أتقدم بكم إلى موضوعنا اليوم أن أنبهكم إلى هذه الصلة الوثيقة بين العقل بقسميه النظرى والعملى عند ابن سينا وبين تصنيفه للعلوم العقلية . ولما كنت أخشى ألا يتيسر لكم الوقوف على هذا التصنيف فى كتابه الشفاء ، أو فى مقدمة منطق المشرقيين أو فى رسالته فى أقسام العلوم العقلية ، فانى مجمل لكم الحديث عن لوحة تقسيمه للعلوم هذه التى ينبغى أن تقفوا عليها وأن تربطوها بأقسام العقل النظرى والعملى التى حدثتكم عنها فى المقال السابق .

ذلكم أن العلوم تنقسم عند ابن سينا كذلك إلى نظرية وعملية . فالنظرى منها ما كانت غايته حصول الاعتقاد اليقينى بحال الموجودات التى لا يتعلق وجودها بفعل الإنسان ، كالله والكواكب ، والأرض ، والأعداد ... الخ اعتقاداً غايته الوصول إلى الحق Truth والبحث عن الحقيقة Vérité . أما العملى فيتجاوز حصول الاعتقاد إلى حصول رأى عملى فيما هو من تدبير الإنسان وكسبه ؛ حصولا من شأنه أن يؤدى بنا إلى الخير Goodness أو Bien ، فهنا تفرقة للأشياء من حيث وجودها بإرادتنا أو بغير إرادتنا وكيفية علمنا بها على هذا الأساس .

والعلوم النظرية عنده ثلاثة : العلم الأدنى (الطبيعيات) ؛ وموضوعه هذه الأمور التى حدودها ووجودها يتعلقان بالمادة والحركة ، كأجسام الأفلاك التى تحدثنا عنها ، والعناصر الأربعة وكل ما هو جسمى على الإطلاق . مما يتغير عليه الحركة والسكون والكون والفساد والتغير والاستحالة . ولهذا العلم مبادئ أصلية نظرية هى التى ذكرناها حين كنا نتحدث عن موضع النفس من مذهب ابن سينا ، وتطبيقات فرعية كالطب والتنجيم والفراسة والكيمياء مما يقوم على المبادئ الأصلية السابقة . ثم العلم الأوسط (الرياضيات) وموضوعه أمور يتعلق وجودها بالمادة وإن تجردت حدودها منها ، كعلم العدد (الحساب) والهندسة (علم السطوح والأشكال والمقادير) وعلم الهيئة (الأفلاك وأوضاعها وحركاتها) والموسيقى (علم النغم والإيقاع واللحن والاتفاق ..) هذه مبادئه الأصلية ، وله كذلك فروع تطبيقية كالمساحة والحيل (الميكانيكا) وعلم المناظر والمرايا وجر الأثقال ونقل المياه ... الخ . وأخيراً العلم الأعلى (الإلهيات) التى ليست أمورها ذات تعلق بمادة أو حركة والتى تبحث فى ذات الواحد الحق وصفاته من هُوِيَّة identité ووحدة وعلّية Causolité ... الخ . وله هو الآخر أصول وفروع لا داعى للاحاطة بها .

أما العلوم العملية فهى التى موضوعها الأفعال التى تشترك مع غيرنا أفراداً وجماعات — وهذه بطبيعة الحال أمور من محض فعلنا وإرادتنا . فان كانت لتدبير يختص بشخص واحد بما يحقق له السعادة فهى علم الأخلاق ، وإن كانت تبحث فى تدبير الإنسان لأسرته وزوجه وولده ومملوكه (خادمه) بما يحقق سعادتهم أيضاً فذلك تدبير المنزل ، وإن كانت هذه الأمور تتناول صنوف الرياسات والسياسات والمجتمعات والمدن الفاضلة فذلك هو علم السياسة ... هذه هى العلوم العملية عند ابن سينا ، وهذا تصنيفه للعلوم كلها وتصنيف الفارابى قبله . والمنطق هنا يجعله ابن سينا مقدمة وآلة Organon للعلوم فحسب ، وإن كان فى تقسيم كتبه فعلاً يجعله القسم الأول منها ، ثم يتبعه بالطبيعيات فالإلهيات — على نحو ما بينت لكم من قبل — ونكتفى بهذا التقسيم لابن سينا؛ لأنه أرسطالى من جهة ، ولأنه أدنى إلى موضوعنا فى تقسيم النفس إلى نظرية وعملية ، من جهة أخرى . وإلا فان له تقسيماً آخر مختلفاً بعض الشىء (فى مقدمة منطق المشرقيين) لا داعى لذكره .

ويهمنى — ويهم ابن سينا كذلك — أن تميزوا بين أنواع الإدراك المختلفة التى تحصلها كل ملكة من ملكات العقل ؛ فان له هنا نظرية فى المعرفة جديرة بالاعتبار ، ونظراً فى طبيعة الإدراك من حيث علاقته بالشىء المدرَك . فاذا كان الإدراك هو أخذ صورة المدرَك مجردة من المادة أىّ نحو من التجريد ؛ فان الحس يدرك الأشياء معلواحقها المادية ، كالتكثر ، والانقسام ، والكم (العدد) والكيف (الخصائص والصفات) والأين (المكان) والوضع ... الخ . والخيال يجرد صورة الشىء المدرَك

من المادة تجريداً تاماً تقريباً ، يستوى معه وجود الأصل أوعدمه ولكنه لا يجردها من العلائق ، بل تظل ملابسة لها في الخيال . أما الوهم فإنه يدرك المعاني التي قد توجد في مادة ولكنها ليست في ذاتها مادية كالخير والشر واللائم وغير اللائم ، إدراكا جزئياً لا يبرأ من لواحق المادة والحس والخيال . وأما العقل — أوالحاكم العقلي كما يسميه — فيدرك الصور مجردة عن المادة من كل وجه وعن علائقها ولواحقها من أي نوع .

ولا يخفى عليكم أن ابن سينا يمهد للدخول في إثبات وجود النفس بوصفها جوهراً مفارقاً للبدن ، فيقيم لكم التناقض واضحاً جلياً من مادة الشيء المدرَك — حتى في غيبته عن الحس — وجوهرية العقل المدرِك ؛ بين تعلق هذا الأول بالمادة والمكان والجهة ، وتجرد ذلك الثاني منها . يريد أن يخلص من ذلك إلى أنه لا شيء مما يدرك الجزئيات المادية إلا وهو مادي ، وأن لا شيء أيضاً مما يدرك الكليات العقلية إلا وهو مجرد ، وأن يدلل على أن الإدراك الحسي والخيالي والوهمي — نظراً لتعقلها جميعاً بصور جزئية خيالية على نحو ما أسلف القول — فهي إنما تقع بالآلة الجسمانية التي ليست مجردة من المادة ولا مفارقة الوضع الجسمي .

أما الجوهر الذي هو محل المعقولات المجردة فمجرد كذلك عن المادية والجسمية — فهو ليس جسما ولا حالا في جسم بوصفه صورة أو قوة له . وحجته هنا تقوم على إنكار ما أثبته في الفصل السابق للقوى الإدراكية الجزئية على القوى المدركة العقلية — أعني الانقسام المادي في القوى الحاملة أو القابلة للادراك ، نتيجة لانقسام المدرَك ذاته . فلما كانت المدركات الحسية مقسمة ومتجزئة بدليل أنك تدرك الشيء الواحد — كالإنسان مثلاً — متفاوتاً في الكبر أو الصغر ، وأن هذا التفاوت لا بد أن يكون من جانب المدرِك أو المدرَك ، فقد كانت القوى الدراكة الجزئية منقسمة كذلك . وإذن فهي في مكان ووضع وجهة ، وبالتالي فهي مادية كمدركاتها ، متصلة بها غير مفارقة .

وطريقة ابن سينا في إثبات تجرد جوهر العقل من المادة أن يبرهن على أن هذا الجسم الذي سيحل فيه المدرك العقلي إن كان جسما — فهو إما غير منقسم (جزء لا يتجزأ كالذرة — باعتبار ما مضى — وكالجوهر الفرد أو النقطة الرياضية) أو مقدار منقسم فعلاً . فإن كان الأول فهو غير معقول ؛ لأن النقطة وهي منفردة لا تقبل شيئاً من الأشياء وإلا أصبحت ذات وجهات (حجم) ولم تعد نقطة ، ولأنها وهي طرف من خط هي نهايته فلا بد أن يكون لجزء من هذا الخط نصيب مما تقبله ؛ وحينئذ يكون للنقطة وجهان أحدهما غير الآخر ومخالف له . فالوجه الذي هو نهاية الخط غير الوجه الملاصق له من الناحية الأخرى . وإلا كانت النقطة منفصلة عن الخط ولم تكن هي نهايته ، وهذا خُلف مع ما افترضه من قبل ، ومع إبطاله في مواضع أخرى للجوهر الفرد فثبت إذن فساد القول بأن جوهر العقل شيء غير منقسم .

ويتضح كذلك فساد أن يكون شيئاً منقسما تبعاً لانقسام الصورة العقلية التي يدركها مثلا . إذ لو كانت الصورة العقلية منقسمة لم يأت من مجموعها شبيه بها إلا بالزيادة والكم والمقدار مما سبق أن قلنا إنه خاص بالصور الخيالية — كما أن أحد أجزائها لن يدل على معنى الكل وإلا كان هو الكل ولم يكن ثمة انقسام . هذا إذا كان القسمان متشابهين؛ أما إذا كانا غيرمتشابهين فإنه يترتب على ذلك أن حد الصورة العقلية (الذي هو الجنس والفصل كما درستم في بابي الكليات الخمس والتعريف) يكون منقسما . وهو عند ابن سينا محال لأنه يبين هنا — وفي قسم المنطق من قبل — أن الأجناس والفصول متناهية وغير منقسمة ، كذلك لا تنقسم الصورة العقلية إلى جنس من ناحية وفصل من ناحية أخرى ؛ كل على حدة (بعد أن ثبت فساد انقسام كل على نفسه) وإلا كان نصف الصورة العقلية يحتوي نصف الجنس ونصف الفصل ، وفي هذا خلف مع ما سبق إثباته ؛ أو إذن لحل الجنس والفصل كل موضع الآخر وهو محال . فالصورة العقلية هي إذن مبادىء بسيطة قابلة لتركيب معقولات أكبر ، دون أن يكون لها أجناس أو فصول ، ودون أن تنقسم في الكم إلى أجزاء متشابهة أوغيرمتشابهة ؛ وبالتالي فهي لاتحل في مقدار، والقابل لهذه المعقولات المجردة فينا هو جوهر غير جسمي أومادي.

ولابن سينا هنا حجة أخرى على تجرد الجوهر العقلي من المادة — مؤداها أن تجريد الصورة العقلية عن المكان والوضع والكم والأين وسائر المقولات فهو باعتبار وجودها الذهني وتصورها العقلي لا في وجودها الواقعي الخارجي ، ومثل هذه

الصورة العقلية المفارقة لمادتها لا يمكن لذلك أن تكون فى جسم ، وإلا فلو أن هذه الصورة العقلية المجردة قد انطبقت فى جسم ذى جهات وأقسام لنتج محال وخلف لما فرضناه فى البدء . وخلاصة القول أن محل المعقولات والجوهر القابل للصورة المجردة هو مثلها مجرد — ولا يمكن أن يكون جسما أو فى جسم بحال . على عكس الصور المنطبقة فى المادة والتى هى أشباح لأمور جزئية منقسمة لكل قسم منها نسبة بالقوة أو بالفعل لجزء من الشىء المادى أو لكله .

وإذ برهن ابن سينا بهذين الدليلين على تجرد الجوهر العقلى من المادة والجسمية انتقل إلى النتيجة المنطقية التى تلزم هذا البرهان بالضرورة ، وهى أن تعقل القوى العقلية المذكورة ليس يحدث بالآلة الجسمية . وله فى ذلك حجج ثلاث : أولاها أنه لو كان تعقل هذه الصور بآلة جسدية لم تستطع أن تعقل ذاتها وتشعر أنها تعقل (كالحس مثلاً أو الخيال والوهم التى تحس أو تتخيل وتتوهم أشياء خارجة عنها — دون أن تشعر بفاعليتها هذه) — أما العقل — فانه يعقل الصور الكلية . ويعقل أنه يعقلها — مما يدل على أنه ليس بينه وبين ذاته آلة أخرى وسيطة وبالتالى أنه يعقل بذاته — وحجة أخرى هى أن الحواس وما من شأنه إدراك الصورة الحسية الجزئية يوهنها دوام العمل ، ويصيبها بالعجز والكلال (وأمثلته هنا كثيرة وواضحة) بينما القوة العقلية لا يزيدها التعقل إلا جلاء ، وجدة ، وصفاء وقوة ودربة ؛ ما لم يُفسد عليها الخيال والحس هذه الملكة . والحجة الثالثة على أن القوة العقلية ليست جسمية أنها ليست خاضعة للضعف أو الشيخوخة شأن سائر القوى البدنية فى سن معينة . بل لا تزال قوية فتية بعد هذه السن بكثير ما لم يطرأ عليها طارئ مرضى أو نحوه . فان صح أن النفس يتعطل فعلها عند مرض البدن كما يُتوهم — أو عند الشيخوخة ، فما ذلك إلا لأن النفس — كما بينا من قبل — لها فعل بالقياس إلى البدن (إدارته وسياسته) وفعل بالقياس لذاتها (التعقل والتفكير) فبأيهما اشتغلت انصرفت عن الآخر لا تجمع بين الاثنين مطلقاً ، بل نسبياً ؛ كما لا يتم فعلها إلا بالبدن فهو عالة على النفس ، وشر لا بد منه .

وآية احتياج هذه القوة العقلية إلى معونة القوى الحسية الحيوانية أنه لا يتم لها معرفة ولا تعقل إلا إذا أمدتها هذه البدنية بمادة المعرفة الغفل (الخام Matiére Brute) ، فمنذئذ تبدأ النفس عملها على أنحاء أربعة :

(١) التجريد والتعميم وانتزاع الكلى من الجزئيات ، واستخلاص التصور الذهنى Concept .

(٢) ومن هذه التصورات الذهنية المجردة تقوم أحكام وقضايا سالبة وموجبة هى التى نسميها فى المنطق التصديقات Judgé—Ments — التصورات تقوم فى الحس المشترك والتصديقات فى الخيال والوهم .

(٣) ثم إن المقدمات الكلية التى تستقيم عليها الأقيسة والبراهين العقلية لا بد أن تكون من واقع الحياة والتجربة ، وأن يكون سبيلها الملاحظة والمشاهدة والتعميم الذى يؤدى إليه الاستقراء induction والحواس هى وسيلة الاستقراء الأولى .

(٤) وكذلك الخبرة والمسلمات والبديهيات التى نحصلها ونصدق بها لشيوعها وتواترها وجلاء الحق فيها ؛ أى نحصلها بالسماع كما يقول العرب ، أو Par oui -ditre كما يقول الفرنسيون ؛ هذه إنما نكتسبها بالسمع أو التعليم والتلقين أو التقليد tradition وقد لا نصدق بها بعد .

وبهذا يكون ابن سينا قد أقام الدليل واضحاً قوياً على أن النفس الناطقة ليست فى ذاتها جسما ، وأنها لا تحل فى جسم ، لأن صورها المعقولة التى هى محلها ليست جسمية . وثبت إذن أن النفس الإنسانية جوهر روحانى مفارق Séparée

كمال دسوقى

شهـــــرزاد !...

للشاعر زهير ميرزا

شهرزاد ! ... حلمك الفاتن أندى من عبير
ولياليك غـــرامٌ بين أحضان الدهـــور
كأسـك الفنُّ . ومغناك أغاريدُ العصور
ونداماك عشــيقٌ فاتر اللحظ الكـبير

صرعته خمرةُ السحر فناما
وارتوى منك بياناً وغراما
وترامى تحتَ عينيك هُياما

وسقاك العُمرَ ؛ فاسقيه الهوى فى كأس نور
وامنحيه اليوم من ثغرك قُبله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله !

جوُّك العاطرُ أطيافٌ وأشـباحٌ حيارى
ونداه هامسُ الألفاظ ترويه العــذارى
رنعتهُ شـفتاك اليوم لحناً لا يُبارى
ورواهُ الدهرُ فاسـتلقاه خفّاق ونارا

كلما مرّتْ ببالى شهرزادُ
سكرَ الخاطر واشتاق الفؤادُ
وطوى الأزمانَ برعاه السُّهادُ

فرآى العاشق والمشوق فى الحب سُكارى
فارْشفى من شَفَة الأزمان نهله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله !

ما لهذا الليــل لا يطويه فجـرٌ وضياء
أترى يصغى كما يصغى إليـك الندماء ؟
أم تراهُ من حديث السحر أغفى حيثُ شاءوا
ليت مصباحك يا سامرةَ الليـل يُضاء !

كلما أدْركك الصبحُ ولاحا
صمت الصدّاحُ لاروى الصّداحا
وأفاق الليلُ من سُكر فباحا
ومضى يرقبك السمارُ حـيرى والمساء

فإذا أقبل ... هاتى السحر كله
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليله !

حدثى عن شاطىء الفتنة أوعن « سندباد »
وابعثى « الصيادَ » للبحر بأحلام غواد
واجمعى كلَّ حبيبين على أنقى وسـاد
واطوى أيامك يا سامرةَ الليل ... ونادى :

هذه الفتنةُ من ذاكَ الخيال !
لك عرشان : من السحر الحلال
ومن القصة فى ثوب الكمال

من ترى علكُ أسمى منهما يا شهرزادى ؟! ...
رتلى الآيات فى أعـذب حلهْ
ثم .. وارْوى ليلةً من ألف ليلهْ !

(دمشق) **زهير ميرزا**

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

موكب الحرمان :

كان لقلبه فى محراب فنها صلوات ... وفى محراب فنها كم صلت قلوب ، ولكنى لا أعرف قلباً أطال السجود مثل قلبه ! كان يقدسها وهى ترسل النغم فينصت الوجود ، يوم كان فى أنغامها أنين وحنين ، وفى ألحانها تبريح وتسبيح ... وكانت حين تغنى له وتفنى نفسها فى غنائها ، أشبه براهبة متعبدة ، تندت من دموعها صفحات الكتاب المقدس ! وأقام لها فى معرض الفكر صوراً فاتنات ، وحشد لها الخيال يمدها بكل ما فى إبداعه من ألوان وظلال

كانت إنسانة ، وكانت فنانة ، وخيل إليه يوماً أنها سمت بفنها وإنسانيتها إلى الحد الذى تشعر عنده الكلمات بأنها فى حاجة إلى عون الوحى والإلهام ! ... وكانت قصة هواها أنشودة حلوة : مثلها لم يحظ فى الفن يوماً وتر ، ولم يشـد يوماً فى اليم ملاح ، كلا ولم يسمع شراع ... وأسطورة عذبة : مثلها لم يحظ فى الوهم يوماً خيال ، ولم يصدح فى البيد يوماً رعاة ، كلا ولم يكتب يراع ! وكان معبد القديسة يملأ النفوس رهبة ورحمة وحناناً ... كان الترتيل يهز جوانبه بين حين وحين ، فيهتز الشاعر ، وتتملق الأنفاس ، وتهوّم الأرواح ... وكانت أغانيها نشوة الشعور فى موكب الأفراح ، وفرحة القلوب فى عرس الحياة !

وفى ومضة البرق لفها الليـل ، فقد كل شىء ... معبد القديسة ؟ لقد خيم فى جنباته الصمت وشاع السكون ! معرض فكره وصوره الفاتنات ؟ لقد محت ريشة القدر كل ما فيها من ألوان وظلال ! ... وها هوذا النبع قد جف ، والزهر قد ذبل ، والمطر قد ذهب إلى غير معاد ! لقد لقيت مصرعها فى حادث لا يزال يذكره الناس ، وذهبت بأحلامها وأحلامه إلى هناك ، إلى وادى العدم ... والنيل الحبيب الذى بارك أمسياتهما لا يزال يجرى ، والقمر الساحر الذى رعى حبهما لا يزال يبزغ ، والليل الساكن الذى كتم سرهما لا يزال يقبل كلما ولى نهار !

أما هو ، فيا سوء ما فعلت به بعدها الأيام ! لقد طوى القلب على أحلامه ، وعاش من بعده على أطلال الذكريات ... ولقد سار وحده فى موكب الحرمان : يهتف للأنة الحائرة ، ويصفق للزفرة المحرقة ، ويعود آخر الأمر وملء نفسه أشلاء آمال ! ... وأما حياته ، فيا سوء ما أصبحت : لقد أصبحت أقباساً من وهج اللوعة ، وفنوناً من عبقرية الألم ، وخريفاً لا يعرف طعم الربيع إلا من أفواه الناس !

كتبت هذه الكلمة منذ عام فى مجلة « الأديب » اللبنانية ، ثم تلقيت عقب نشرها بضع رسائل من هنا وهناك ، بعضها يدور حول كلمتين : « من هو ؟ » و « من هى ؟ » ... بينما يدور بعضها الآخر حول التوكيد بأن بطلة هذه القصة القصيرة هى فقيدة الفن « أسمهان » ، ولكن من هو بطل القصة ؟ ! ...

وأما اليوم أعيد نشر هذه الكلمة تعقيباً على مايكتبه الأستاذ التابعى عن ذكرياته حول هذه الفنانة فى « آخر ساعة » ، ولأقول لمن كتبوا إلى مستفسرين أن « مى » التى أشرت إليها لم تكن إلا المطربة « أسمهان » ... أما « هو » ، فليس واحداً من أولئك الذين عرف الناس قصة صلاتهم بها ، ولا أعتقد أن واحداً منهم يعلم شيئاً عن هذا الغرام العاصف الذى جمع بين قلبها وقلبه ، وغلف قصة القلبين بغلاف من الصمت والكتمان !

وكم كنت أود أن أذيع قصتها على الناس من رسائلها إليه ، ذلك الإنسان الذى لا يعرفه أحد . ولكنه من أسرة ... وفى بيته زوجة وفية عزيزة عليه ، وأبناء صغار أحباء إلى قلبه !

إيمان عظيم :

قرأت لصديقى الأستاذ على أدهم كلة قيمة فى « الثقافة » عن الألم والإيمان فى حياة الشاعر الألمانى هنريك هاينى ، وقد استوقفنى فيها ذلك الحوار الرائع بين هاينى الشاعر وإمانويل نخت الفيلسوف ، حول حقيقة الله بين الوجود والعدم ، أو بين الإثبات والإنكار ... قال هاينى لنخت[1] :

— « قل لى يا أستاذ بصراحة : هل تعتقد بالحياة الأخرى ؟ وهل تؤمن بأن الروح خالدة ؟ وأجاب نخت فى تؤدة ووقار :

— إنى أعتقد بوجود عالم الأفكار غير المنظور .

— ولكنك لا تصدق بوجود إله ... إله حى قيوم ؟

فأجاب الأستاذ فى غير تردد وقد هز رأسه : لا أصدق به !

فأرخى هاينى جفنه المشلول ، وارتمى على وسادته ، ولاذ بالصمت » ثم استأنف الصديقان حديثهما مناظرة أخرى حول وجود الله

(١) ما بين الأقواس للأستاذ على أدهم .

وكانت دهشة الفيلسوف بالغة حين رأى الشاعر وقد تحول عن نزعة الإلحاد التي عصفت بعقيدته ردحاً من الزمن ، إلى نزعة إيمان عميق تغلغلت في لجاج روحه ، تحت وطأة مرض طويل ألزمه الفراش وبرحت به آلامه ! وهنا قال هايني :

« إنني في حاجة إلى الله ، ففي الليل حينما تأوي زوجتي إلى فراشها أشعر بالوحدة ، وينفر مني النوم ، وأظل أتقلب في الفراش وأتحول من جنب إلى جنب ، ويغشى جسمي الألم ويدب به من الرأس إلى القدم ، وفي كل لحظة أعتقد أن نهايتي قد دنت وحانت منيتي ... وفي مثل تلك اللحظات يؤنس وحشتي أن أفكر في أن هناك في السموات — أو في أي مكان آخر — من أستطيع أن ألجأ إليه في كربتي وضائقتي ، ومن أنهمه وأدينه وألقي عليه التبعة ... » ولعل هذه الكلمات الأخيرة هي وحدها التي تركت أثرها العميق في نفسي وحسي . إن فيها دفقات هائلة من حرارة الشعور في القلب الإنساني ؛ الشعور الذي تنبلج أمامه أنوار الحقيقة والإيمان في لحظات الشدة والضيق وحيرة الرجاء ، هناك حيث يتجه الضعفاء بقلوبهم إلى رحاب الله ينشدون العون ، حين يعز النصير على أرض البشر ! إنها ليست كلمات ، بل أنات . . هتكت ستار الصبر والجلد ، وتركت مكانها من حنايا الضلوع وشغاف القلب ، وخرجت إلى الناس تروي لهم قصة الألم والإيمان !

إنه هايني الإنسان ... هايني الذي هتف مرة في غمرة من غمرات عذابه : لن أنتسب بعد اليوم إلى الملحدين والجاحدين ، لقد أصبحت أومن بأن أوائل الأشياء وأواخرها هي في الله !

مع الدكتور طه حسين :

كنت أتحدث منذ شهرين مع الدكتور طه حسين بك عن الكاتب والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر ، وكان بدء الحديث سؤالاً مني للدكتور عما إذا كان قد التقى بسارتر في خلال تلك الفترة التي تغيب فيها عن مصر ليقضيها في فرنسا ، ثم تطرق الحديث بعد ذلك إلى شخصية سارتر الأدبية والفلسفية ، وإلى حقيقة المكان الذي يشغله في الأدب الفرنسي المعاصر .

وسارتر — كما لابد أن يعرف المتتبعون لأخباره من القراء — فيلسوف وجودي ملحد ، أصدر البابا أمراً بمنع دخول كتبه الفلسفية إلى مدينة الفاتيكان لما فيها من إنكار سافر لوجود الله ! وهو بعد ذلك أديب ارتقى سلم المجد الأدبي في وثبة واحدة بدلا من ارتقائه في وثبات ؛ ومن العجيب أنه إلى ما قبيل الحرب العالمية الثانية لم يكن شيئاً مذكوراً يلفت النظر ويثير الاهتمام ، ولكنه الآن يحتل مكانه في الطليعة من كتاب فرنسا الأحياء ، ويكاد مجده الأدبي يغطي على أمجادهم جميعاً عن جدارة واستحقاق !

أما شخصيته الأدبية ، فتتمثل في تعدد ملكاته ومواهبه .. إنه كاتب تراجم فذ لا يلحق به ، وكتابه الذي أخرجه عن « بودلير » يعد في رأي الفن خير كتاب أخرج في موضوعه ، منذ أن احتل أدب التراجم مكانه إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى. وله في ميدان النقد الأدبي نظرية جديدة لا أحسب أن أحداً قد سبقه إليها ؛ وهي نظرية تنادي بأن الأدب صورة القارئ لا صورة البيئة كما يقول « تين » ... وهو بعد ذلك كاتب مسرحي يغذي المسرح الفرنسي من وقت إلى آخر بإنتاجه الفريد المتميز !

في هذه الأشياء كلها كنت أتحدث مع الدكتور طه حسين ، ولقد قال الدكتور فيما قال : إنه يخشى على مجد سارتر الأدبي بسبب ميله إلى السهولة فيما يكتب في هذه الأيام ، وإنه لم يرض عن مسرحيته الأخيرة « الأيدي القذرة » يوم أن شاهدها تمثل في أحد المسارح الباريسية .

وأعقب على هذه الفقرة فأتساءل : ترى لو نظرنا إلى مجد سارتر الأدبي هذه النظرة بسبب ميله اليوم إلى السهولة فيما يكتب فكيف تكون نظرتنا إلى هؤلاء الذين يكتبون اليوم في مصر ، ولا يهمهم ملء الفراغ الروحي الذي تحسه الجماهير بقدر ما يهمهم ملء الفراغ الذي تحسه أعمدة الصحف والمجلات ؟ !... إن أخطر الخطر على الكاتب أن يظن أنه قد بلغ أوج الشهرة وقمة المجد ، والأخطر عليه من الوقوف على السطوح دون التغلغل إلى الأعماق ، وهذا هو ما يلقاه المتعطشون إلى المعرفة في هذه الأيام حين يقرأون لبعض كبار الكتاب فلا يخرجون بشيء !

إن المسألة عند سارتر ضرب من الميل إلى السهولة ، ولكنها عندنا ضرب من الاستهانة بالقيم والأذواق !

حديث الدكتور طه حسين بك في (بيروت المساء) :

في مكان آخر من « الرسالة » تقرأ الكلمة التي بعث بها إليها الدكتور طه حسين بك ، والتي نفى فيها ذلك الحديث الذي نسبته إليه جريدة « بيروت المساء » اللبنانية حول الشاعرين : علي محمود طه ، وعمر أبو ريشه ؛ ويسرني كما يسر الذين ينشدون حقائق الأمور أن يبادر الدكتور الفاضل بتكذيب ما نشر منسوباً إليه ، وأن يكون رأيه في الشاعر المصري منذ أيام هو رأيه فيه منذ سنين ، دون أن يغض من قيمة هذا الرأي أخطاء نحوية أو

لغوية يقع فيها الشاعر، وما أكثر ما يخطئ الشعراء والكتاب المعاصرون في العربية كما يقول الدكتور طه حسين!

أما حديث الدكتور عن الشاعر علي طه في الجزء الثالث من «حديث الأربعاء»، فقد اطامت عليه منذ أمد بعيد، ومازلت أذكر كل ناحية من نواحيه في مجال الإشادة بحسنات الشاعر والإشارة إلى سيئاته، ولعل ما كتبه الدكتور في «حديث الأربعاء» هو الذي أثار دهشتي عند ما وقفت على حديثه الذي نسبته إليه الصحيفة اللبنانية، لأن الفارق بين رأيه اليوم في الشاعر ورأيه بالأمس فارق بعيد!

وإذا كان أديبنا الكبير قد بادر فذكر في كلمته أن شيئاً مما نسب إليه لم يحدث أن أفضى به إلى «بيروت المساء»، فإنني أبادر بتوجيه الشكر إليه خالصاً من الأعماق، وأشكره مرة أخرى على هذه التحية الكريمة التي تفضل فخصني بها في ثنايا كلمته؛ أما دفاعي عن الشاعر علي طه، فهو دفاع عما أعتقد أنه الحق... وليثق الدكتور طه أن له في نفسي مكاناً يستحقه رجل له في حساب الشعور أكرم الذكريات...

عبقرية محمد الإنسانية:

تحت هذا العنوان كتبت في عدد «الرسالة الهجري» مقالا خالفت فيه الأستاذ العقاد في طبيعة نظرته إلى شخصية محمد الإنسانية؛ وأعتقد أنني أوضحت جوهر الخلاف إيضاحاً لا يحتاج مني إلى أكثر مما أوردت من تفصيل، كما لا يحتاج من غيري إلى تعقيب... ولكن الأستاذ محمد محمود عماد يعقب على ما كتبت في عدد «الرسالة» الماضي بكلمة عجيبة تبعد كل البعد عن الأفق الذي أدرت فيه حديثي عن محمد الإنسان!

إن جوهر الخلاف بيني وبين الأستاذ العقاد هو أنه يزن إنسانية محمد بميزان العظمة النفسية، بينما أزنها أنا بميزان اللحظة النادرة من لحظات «الضعف الإنساني»... فوقف الرسول من عبد الله بن أبي، أو من هبار بن الأسود، هذا الموقف الذي يعز مثيله على الأقران والنظراء، ينظر إليه العقاد من زاوية تنطبق — كما قلت — على الرجل العظيم، لا على الإنسان العظيم، لأن محمداً في أمثال هذه المواقف — كما يرى العقاد — أكبر من أن يلقى الأمور لقاء الأنداد، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة!

هل كان الرسول حين شمل عبد الله بن أبي بالصفح والرحمة والمغفرة، ينظر إليه على أنه أهون من أن يعامله معاملة الند للند، أو معاملة النظير للنظير؟ إن هذا المنظار الذي ينظر العقاد من خلاله إلى معدن النفوس وجوهر القلوب، يجعل من الرحمة المحمدية ضرباً من التعاظم والكبرياء، وهذا ما ننزه عنه كمال الإنسانية في هذا الإنسان العظيم!

أما تعليق على قول الأستاذ العقاد بأن النبي لا يكون رجلاً عظيما وكفى، بل لا بد أن يكون إنساناً عظيما، فلم أقصد من ورائه إلى أن العقاد قد نفى الإنسانية عن محمد قبل أن يكون نبياً كما فهم الأستاذ عماد... وإنما قصدت إلى أن اشتراط الإنسانية لنبوة محمد أمر لا داعي لإثباته، لأن محمداً كان إنساناً بأدق معاني الكلمة قبل أن يبعث رسولاً إلى الناس! ولم يحدث أنني قصرت إنسانية محمد على الرحمة كما يغالط الأستاذ عماد، ولكنني قصرتها على لحظات «الضعف الإنساني»... وتحت هذه اللحظات يمكن أن تندرج الرحمة وما يماثلها من شتى الفضائل والصفات.

وإذن، فلا مبرر لقوله بأن حديث العقاد عن إنسانية محمد كان أشمل وأعم!

تحية الأديب للرسالة:

كتبت مجلة «الأديب» اللبنانية في عددها الأخير مايلي:

«لاحظنا كما لاحظ معنا كثيرون — والملاحظة تؤلم — غيبة مجلة «الرسالة» عن معرض الكتاب في مدينة اليونسكو في الوقت الذي رأينا فيه عشرات المجلات التي لا ترتفع إلى مكانة «الرسالة» فكراً وقدراً تحتل صدر الجناح المصري، عرضة لأنظار مفكري العالم!... حرام أن يغمط حق مجلة قادت ولا تزال تقود الرأي والفكر في العالم العربي ست عشرة سنة؛ بينما يفسح لغيرها ممن لا يعرف لها في التوجيه أو الأدب أو العلم أي سبيل يذكر! نحن نفهم أن يمنع عرض مجلة «الأديب» في الجناح اللبناني — بيما تعرض بعض الوريقات الصفراء — لأن الأديب كانت وما تزال تقاوم في هذا البلد لرسالتها التوجيهية السامية، وقد عرف هذا البلد «السعيد» بأنه مقبرة لأبنائه المخلصين النابهين... ولكن أن يهمل عرض «الرسالة» في الجناح المصري، فهذا موضع دهشتنا!»

هذه اللفتة الكريمة من الزميلة اللبنانية، وهذه التحية الصادقة، تستحقان من أسرة «الرسالة» كل ثناء وتقدير. أما التعقيب على هذا الأمر الذي يثير الدهشة والعجب، فسنفرد له مكاناً خاصاً في العدد المقبل إن شاء الله؟

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

عد الأمواج في المجمع اللغوي :

استمع الأعضاء في جلسة من جلسات مؤتمر المجمع اللغوى إلى تقرير للجنة اللهجات بالمجمع يتضمن الخطة التى وضعتها لاستقراء الألفاظ والتراكيب الجارية على ألسنة أهل الأقطار العربية وتدوينها فى معاجم وأطالس لغوية ، وفى التقرير تفصيل لهذه الخطة لا تنتهى فيه إلى غاية مرجوة من هذه الدراسة .

استمع الأعضاء إلى ذلك التقرير ، ثم دارت بينهم المناقشة فى موضوعه ، فاعترض بعضهم على اهتمام المجمع بهذه الدراسة ، ومن هؤلاء المعترضين الجارم والعوامرى والشبيبى والمغربى وعبد الوهاب عزام ، وتلتقى آراؤهم فى أنه أولى بالمجمع أن يوجه عنايته إلى موضوعات أهم من هذا الموضوع . وساق الدكتور عبد الوهاب عزام بك حكاية ظريفة ، قال : خطر لى عند ما سمعت هذا البحث مثل سمعته فى مدينة « مارسين » بتركيا ، كان رجل جالساً على شاطئ البحر ذات يوم فمر به صاحب له فسأله : متى أتيت إلى هنا ؟ قال الأول : أنا هنا منذ الصباح . فسأله صاحبه : وما ذا تفعل؟ فأجاب : أعد الموج . عند ذلك سأله صاحبه : كم عددت ؟ فما زاد على أن نظر إلى موجة وقال : هذه واحدة . فعدُّ الأمواج قد يكون ذا متعة وفائدة ولكنه يشغل عن أمور أهم منه . ولئن كانت دراسة اللهجات أكثر فائدة من عد الأمواج فإن بينهما مع ذلك بعض الشبه .

ويرى الشيخ عبد القادر المغربى أن دراسة اللهجات العامية تنافس عمل المجمع ، فعمل المجمع تثبيت اللغة الفصيحة ، فإن قام بتلك الدراسة فإنه يعطى العامية بذلك اعتباراً فى أعين الناس يصرفون به عما نعلمهم من الفصيح . وقال : قد يكون بحث اللهجات مفيداً لأولئك الغربيين المستعمرين الذين ينزلون بالبلاد العربية المختلفة ذات اللهجات المختلفة ليشتغلوا بالتجارة أو ليسموا بالفتنة ، أما اشتغالنا نحن بهذا العمل فحرام حرام .

ودافع عن الموضوع فريق آخر ، منهم ماسينيون وطه حسين وأحمد أمين ومنصور فهمى ، وقد رأوا جميعاً أن العلم يطلب لذاته ولا يسأل عن فائدته . وتولى الدكتور طه حسين الرد على الدكتور عزام والشيخ المغربى فقال : ليس للعالم عمل إلا أن يعد الوج ، فعد الأمواج لا يخيف ، أما ما يخشاه زميلنا الشيخ المغربى من تثبيت العامية فخشية مبالغ فيها .

وجنح بعض الأعضاء إلى بيان فوائد دراسة اللهجات ، كالأستاذ فريد أبو حديد الذى بين فائدتها فى درس التاريخ ، ومما قاله أن اللغة وثيقة الاتصال بالقوم الذين يتكلمونها ، فدراسة اللهجات بما تكشفه من اتصال بينها تدل على صلات كانت بين الأقوام الذين يتكلمونها .

ثم انتهى المؤتمر إلى الموافقة بالأغلبية على الخطة التى تقدمت بها لجنة اللهجات .

ويلاحظ أن مؤيدى دراسة اللهجات العامية لم يجيبوا عن سؤال المعارضين : أليس لدى المجمع مسائل أهم من هذه الدراسة وأولى بعنايته وجهده ؟ فقد ذهبوا إلى تمجيد البحث العلمى واستنكروا السؤال عن الفائدة ، وحتى من بين منهم الفائدة لم يذكر أهميتها بالنسبة لبقية أغراض المجمع .

وعبد الله الفقير إليه ، كاتب هذه السطور ، يريد أن يحمل نفسه لا على التسليم بقدسية البحث العلمى فقط ، بل يفرض أن لدراسة اللهجات العامية فوائد لا تحصى ومنافع لا تستقصى ، كما يعبر مؤلف « ثمار الإنشاء » ويريد أيضاً أن يحنى رأسه ولو قليلاً أمام عظمة علماء اللغات فى فرنسا وفى غير فرنسا ، ولكنه يريد مع ذلك أن يعرف هل مجمع فؤاد الأول — للغة العربية أو للبحوث العلمية ؟ أليست مهمته الأولى المحافظة على سلامة اللغة العربية وتلبية حاجة الناس إلى التعبير الفصيح بمواجهة المستحدث وتصحيح الخطأ وغير ذلك . فهل فرغ من هذه المهمة ، بل أقول هل بلغ شيئاً ذا بال من النجاح فيها حتى يعد الأمواج ويسعى وراء الحقيقة المطلقة فى عالم البحث غير ناظر إلى الأهم والمهم والفائدة ؟

إن الناس يرمون المجمع بالتباطؤ والتثاقل في إنجاز الأعمال ذات المنافع القريبة ، فالمجمع حين يوغل فيما وراء هذه المنافع يضيف إلى ما يرى به العقم وعدم الإنتاج المفيد .

القلم والقنبلة :

دافع الأستاذ عبد العزيز الشوربجي المحامي عن أحد المتهمين في قضية القنابل ، فأشار إلى المقالات السياسية التي كان يكتبها المتهم ، وتساءل : كيف يتصور أن تلقى هذه اليد القلم وتمسك بدلا منه المسدس والقنبلة ، واليد التي تكتب دفاعاً عن مصر تعود فتنسف مصر ، واليد التي أسالت المداد من عصارة الذهن وفي وضح النهار تعود فتسفك الدماء في الظلام ؟ إلى أن قال : هل رأيتم أن كاتباً أو صحفياً انقلب مجرماً فوضوياً ؟

وحقاً لم نر أحداً من المشتغلين بالكتابة أو الصحافة قد ارتكب هذا النوع من جرائم القتل وسفك الدماء أو اشترك في تدبيرها .

ولكني أنظر إلى الموضوع من جانب غير الجانب الخطابي الذي نظر منه الأستاذ الشوربجي ، فليس كل من كتب صاحب عقيدة ، وكثيراً ما تشترى الأقلام وتؤجر الصحف .

صاحب القلم لا يحمل القنبلة ، وما حاجته إليها وقد أفرغ طاقته بسنان القلم ، وسكب جهده على الورق ؟ إنه يعبر عن ثورته ولا يختزنها ، فليس به بخار مضغوط تفجره القنبلة أو يطلقه المسدس . يصنع حماسه كلمات من نار ، فلا يبقى منه ما يصلح لصنع الرصاص أو (الديناميت) ، يصول ويجول ولكنه لا يعرف ميداناً غير القرطاس .

وإن صاحب القلم يضني نفسه بالكتابة والتعبير ، ولكنه يجد في قلمه متنفساً يخفف عن أعصابه ، وما أجدر الكتابة الحرة أن تحسب فيما يشفي من الأمراض العصبية أو يعصم منها .

ومن هنا ندرك قيمة حرية التعبير عن الرأي في صيانة الأمن العام ، وإنك لتجد أكثر الأمم استقراراً وخلواً من القلاقل ، هي التي نالت حظاً موفوراً من حرية الفكر لأن القوى تتجه إلى اصطراع الأفكار ولا تنحرف إلى التخريب والتدمير .

أمر معكوس :

لمصر في فرنسا ملحق ثقافي يفهم الإنسان من وضعه الرسمي

كشكول الأسبوع

* وقع اختيار وزارة المعارف على الأستاذ محمود الخفيف ليكون مديراً لإدارة التعاون الثقافي الشرقي بوزارة المعارف .

ويعد هذا الاختيار الموفق اتجاهاً طيباً نحو الانتفاع بالكفايات الأدبية في المناصب الثقافية بالوزارة .

* تلقت إدارة التسجيل الثقافي بوزارة المعارف ، كتاباً محولا إليها ، من اتحاد مترجمي المؤلفات الأدبية بباريس ، يطلب فيه المعاونة بتعيين مراسل له في مصر أو هيئة أدبية يتبادل معها جميع ما يتعلق بترجمة المؤلفات الأدبية من الفرنسية وإليها ، لتقديمه إلى الناشرين . وتعد الإدارة منشوراً في هذا الموضوع ليوزع على دور النشر والهيئات الثقافية في مصر .

* اشترطت مجلة الصور في مسابقتها القصصية ألا تزيد القصة على ٦٠٠ كلمة . وقد كتب أحد الأدباء قصة المسابقة فجاءت في ٦٠٠ كلمة وكلمة وهو لا يريد أن يحذف أي كلمة من صميم القصة ، فأشار عليه بعضهم أن يحذف العنوان .. لأنه لم يشترط أن يكون للقصة عنوان !.

* جاء في مقال للأستاذ على أمين بالعدد الأخير من مجلة « آخر ساعة » قوله : « فغرت فاهي ! » فهو يحسب أن « فاه » كلمة واحدة فتضاف إلى ياء المتكلم .. والأستاذ كاتب ظريف ، وليته يحسن علاقته بسيبويه ..

* دأبت إحدى الجمعيات على الإعلان في الصحف عن اجتماعات أسبوعية لقراءات أدبية من فلان وفلان وفلان .. وقد غضب أحد أعضاء الجمعية لأمر من الأمور ، فقرر أن يكتب إلى الصحف أنه سيجلس يوم كذا في منزله ويقرأ في كتاب من كتب الأدب ... وبذلك يستغني عن الجمعية !.

* جاء فيما كتبته مجلة « الكتاب » عن التأليف في سنة ١٩٤٨ أن الإنتاج الفكري نقص في هذه السنة إلى ٣٩٠ كتاباً ، وكان في سنة ١٩٤٧ قد بلغ ٤٨٠ كتاباً .

والطبيعى أن مهمته تنظيم العلاقات الثقافية بين البلدين على أن يكون الهدف رعاية جانب بلاده من الوجوه المختلفة ، فيدعو إلى ثقافتها ويبرزها ويبين آثارها فى الحضارات والثقافات بمختلف الوسائل .

ولكن ملحقنا الثقافى فى باريس بعكس الأمر ، فقد أذاع من مذياع باريس يوم الخميس الماضى حديثاً عن العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا فى عهد محمد على الكبير أشاد فيه بفضل فرنسا مؤيداً بما توصلت إليه همته ونشاطه الفائقان من الوثائق والمستندات .

أثر فرنسا فى النهضة الثقافية بمصر معروف لم ينكره أحد ، وله مكانه فى التاريخ ، ولكن ما لهذا نبعث الملحقين الثقافيين ، ولو أن هذا من أغراضنا لكفانا مؤونته الفرنسيون أنفسهم .

ثم هل الظروف الحاضرة ملائمة لمثل ذلك ؟

نقد مسرحى :

كنت ناوياً فى أول الموسم المسرحى الحالى أن أتابع الروايات التى تمثلها الفرقة المصرية فأتناولها بالنقد واحدة واحدة ، وبدأت فعلا بالمسرحية الأولى « سر الحاكم بأمر الله » وكتبت عن غيرها ، ولكنى عند ما وجدت مستوى ما تعرضه الفرقة هابطاً فتر حماسى ، وخمدت رغبتى فى المعاونة بالنقد على إحياء هذا الفن الذى تلتقى فيه عدة فنون .

وما كنت أدرى ، ولم يعجبنى الخوخ ، أنى سأضطر إلى شرابه ... فأكتب عن « أوبريت الحمار » .

هى « تمثيلية » عرضتها فرقة شكوكو على مسرح حديقة الأزبكية ، ونقلتها الإذاعة فى سهرة ليلة الجمعة الماضية ، وهى تتلخص فى أن حماراً (يمثله أحد أفراد الفرقة) يظهر على المسرح وعلى إحدى أذنيه عداد وعلى الأخرى (نفير) وصاحبه (شكوكو) يسميه (تكس) ويأتى (واحد خواجه) ويركب (التكس) ويغنى له شكوكو : « يا حوحو ... حا . يا ميمى ... شى » ، ثم ينزل الستار .

وهى تعتبر مسرحية غنائية من نوع (الأوبريت) ولا بد أن شكوكو يقصد بها إحياء هذا الفن مع شىء من الإبداع والتجديد يبدو فى خلوها من وجهة وطنية أو اجتماعية ، مما كان يتجه إليه أهل هذا الفن من الجيل القديم ... ومما يذكر أن هذه (الأوبريت) يدور فيها صراع عنيف بين (الخواجة) والحمار الذى يزعم صاحبه أنه (تكس) وهو كسائر ما فى المسرحيات العالية صراع خالد ... وهى لذلك « مؤثرة ! » وقد أخرجها شكوكو ، واشترك أيضاً فى التمثيل ، وألفها مؤلف نسيت اسمه .

بقى أن أذكر المهم ، وهو الذى اضطرنى إلى شراب الخوخ ذلك أن مجلس الوزراء قرر من نحو شهر انتقال مسرح حديقة الأزبكية من اختصاص وزارة الأشغال إلى وزارة الشؤون الاجتماعية لاستخدامه فى « ترقية التمثيل » وذلك أيضاً أن الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية جادة فى نقل روائع الفنون إلى مستمعيها لا فى مصر فقط ، بل إلى كل من ينطق بالضاد فى أنحاء المعمورة ، كى يقف الجميع على ما يعرض فى مسارح القاهرة من تمثيليات رائعة خالدة ...

أوليس يدعو كل ذلك إلى أن تنقد تمثيلية الحمار نقداً مسرحياً يلائم مكانها من « ترقية التمثيل » ؟!

نقط الحروف :

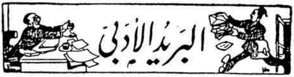
رداً على الأستاذ أحمد الطاهر من أعضاء محكمة الاستئناف بمهان — أقول :

« فيروزاباذ » كلمة فارسية وهى علم على البلد المعروف ، وقد نطقها العرب بالدال وبالذال ، كبغداد وبغداذ . ومن سنن العرب إبدال الحروف فى لغتهم ، وإبدال الذال دالا إذا جاءت متطرفة فى الكلمات الفارسية . وقد وردت كلمة « الفيروزابادى » بالدال المهملة فى شرح ديباجة القاموس وتاج العروس وفى معجم فرنسيس الإنجليزى الفارسى المطبوع فى سنة ١٨٥٣ م .

وبعد : فالخلاف بين السيد الطاهر وبينى ليس كبيراً كالخلاف بين القاهرة وعمان . . فليس بيننا والحمد لله « عقبة » وإنما هو خلاف على « نقطة » .

وللأستاذ تحيتى وشكرى على ما فى كلمته من روح طيب وأدب جم .

عباس خضر



الدكتور طه حسين بك يصحح ما نشر في (بيروت المساء):

أخي الزيات :

نقلت (الرسالة) في عددها الأخير حديثاً نشر عني في إحدى الصحف البيروتية ونسب إلي فيه أني أغض من شأن صديق الأستاذ علي محمود طه وأبايع صديقي الأستاذ عمر أبو ريشه ، فأحب أن أؤكد أني لم أبايع هذا ولم أغض من شأن ذاك ، وما كان لي أن أفعل ؛ فأنا أحب الشاعرين جميعاً وأحفظ لهما مودة ثابتة . وإذا لم تخن الذاكرة فقد كتبت فصلا خاصاً منذ وقت طويل أثنيت فيه ، بالحق ، على شعر الأستاذ علي محمود طه . ولا يغير من رأيي فيه أنه يخطىء في العربية هنا وهناك . وما أكثر ما يخطىء الشعراء والكتاب المعاصرون في العربية !

وأظنك توافقني على أن صحة اللغة شرط أساسي من شروط الشعر الجيد .

أما الأستاذ عمر أبو ريشه فقد قلت غير مرة وما زلت أقول إني أكبر شعره وأعجب به ؛ وليس هنا موضع التفصيل لأسباب هذا الإعجاب ، ولكن الإعجاب بشاعر شيء ومبايعته شيء آخر .

وما أعرف أني بايعت شاعراً أو كاتباً قط ؛ وما أظن أني سأبايع شاعراً أو كاتباً قط ؛ فهذا نوع من السخف لم أشارك ولا أريد أن أشارك فيه .

وقد كنت دائماً شديد الحرص على هذه الحرية التي تبيح للناقد أن يقول للأديب اخطأت إن أخطأ وأصبت إن أصاب .

وقد جاوزت السن التي ينزل الناس فيها عن حريتهم .

فليطمئن الكاتب الأديب الذي دافع مشكوراً عن صديق الأستاذ علي محمود طه فقد دافع عنه في غير حاجة إلى الدفاع .

وليقرأ إن شاء حديثاً لي عن الأستاذ علي محمود طه صورت فيه رأيي في جيد الشعر ورديئه وفي صوابه وخطأه ، وهذا الفصل منشور في الجزء الثالث من حديث الأربعاء كتب منذ خمسة عشر عاماً ولم يتغير رأيي في الشاعر الصديق إلى الآن .

ولك وللكاتب الأديب تحيتي صادقة وشكري خالصاً .

(الزمالك) طه حسين

هل الحج يغسل الذنوب جميعاً ؟

... قرأت مقالكم « حج غير مبرور » فأوافقك في جانب منه كل الموافقة ويوافقك معي كل من في قلبه قدر من الإيمان — وأخالفك في جانب آخر كل المخالفة ويخالفك معي كثير .

فأما ما أوافقكم عليه ، فهو إنكار ما يفعله ذلك الفاسق الفاجر وتقبيح ما يأتيه ، وتنفير المسلمين من أمثاله ، وتنبيه أولي الأمر على الضرب على يده .

وأما ما أخالفكم عليه ، فتجاهلكم لحديث شاع على ألسنة المسلمين في شتى العصور والأمصار ، واعتز به كل مؤمن وسكن إليه قلبه ، ورونه كتب الحديث الكبيرة وغير الكبيرة . ألا وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » . رواه البخاري ومسلم والدارقطني وغيرهم كثير مع اختلاف يسير في اللفظ واتفاق في المعنى .

ويرى ابن حجر أن المغفرة بسبب الحج عامة لكل الذنوب . وخصصها الطبري في تفسيره بالمظالم التي تاب عنها صاحبها وعجز عن وفائها . ورأى الترمذي قصرها على حقوق الله خاصة .

ولو كنتم فضلتم رأياً على رأي مما ذكرنا ، ما رأينا بأساً قط ؛ ولكنكم يا مولاي قلتم : « اغتر على ما يظهر بقول التزيدين من جهلة الشيوخ : إن الحج وحده يمحص الذنوب ويمحو الخطايا ... فيعود منها وهو نقي الصحيفة كيوم ولدته أمه » فمن هم الشيوخ الذين تقصد ؟ ألأزهريون أم ابن حجر ومن ذهب مذهبه ؟ طبعاً الأزهريون — وما الذي تزيدوه ؟ لم يتزيدوا شيئاً اللهم إلا إيثار وجهة على وجهة ، وزيادة الرجاء في عفو الله .

وأخشى ما أخشاه أن يتجرأ من لا صلة له بالدين على إنكار ما لا يوافق مزاجه من الأحاديث وآراء العلماء استناداً على ما فهم أو ما دلت عليه عبارتكم من إنكار حديث سلم به

المسلمون ولهجوا به فى مشارق الأرض ومغاربها .

ولكم فى الختام أطيب التحيات .

محيي الدين حمودة

المدرس برأس التين الثانوية

(الرسالة) : يا سيدى ، إن الشيخ الذى قال ذلك لم يورد الحديث ولم يشر إليه حتى تقول إنه أنكره أو شكك فيه ، إنما أنكر تزيد القائلين بأن الحج (وحده) يمحص الذنوب ويمحو الخطايا .. وبين أثر هذا التعميم فى تأمين المجرم وتهوين الجريمة . والتزيد ملحوظ فى تفسير المتساهلين البالغين من المجيزين الذين قالوا إن المغفرة بسبب الحج عامة لكل الذنوب من غير قيد ولا شرط ، ففتحوا الباب لكل عاص وسهلوا الحجاب لكل مجرم . أما الحديث بنصه فى البخارى ومسلم ، وتفسيره للطبرى أو الترمذى ، فلا تعقيب عليه ولا جدال فيه .

وفاة السيدة زينب :

قرأت فى عدد «الرسالة ٨١٢» كلمة الأستاذ حسن ابراهيم شقل عن سبب وفاة السيدة زينب فمن لى أن أنقل كلمات موجزات من كتب الثقات لإزالة الأشكال :

١ — خرجت زينب — صلوات الله على أبيها وعليها — مع ابن كنانة من مكة ، فخرجوا فى أثرها ، فأدركها هبار بن الأسود فجعل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها ، فألقت ما فى بطنها وأهريقت دماً .

٢ — ماتت زينب فى سنة ثمان من الهجرة ، وكان سبب وفاتها سقوطها من بعيرها لما طعنه هبار ، سقطت على صخرة فأهريقت دماً ، ولم تزل مريضة بذلك حتى ماتت .

٣ — خرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى ، وكان أول من سبق إليها هبار بن الأسود فروعها وهى فى هودجها وكانت حاملا فيما يزعمون ، فلما وقعت ألقت ما فى بطنها ، فبرك حموها ونثر كنانته وقال : والله لا يدنونى رجل إلا إذا وضعت فيه سهماً فتكركر الناس عنه ... الخ

المصادر : ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى للمحب الطبرى ص ١٥٦ من طبعة القاهرة ، حيث ترجم لها فى خمس صفحات .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى ج ٩ ص ٢١٦ من طبعة القاهرة ، حيث بسط ترجمتها فى خمس صفحات كذلك .

عبد الله معروف

حول كاد أن :

قال الأستاذ فاروق أحمد سلام بمعهد اسكندرية الدينى فى معرض رده على من قال إن تجرد المضارع الواقع فى خبر كاد من أن قياس مطرد ، أن الحديث الشريف يتفق مع القرآن فى أن القرآن لا يأتى باللغات الشاذة وإلا لما كان معجزاً فكذلك الحديث لا يأتى باللغات الشاذة قال تعالى وما ينطق عن الهوى وقول الشاعر : كادت النفس أن تفيض عليه — والشعر العربى إذا تعددت فيه الأمثلة فلا يكون ذلك ضرورة ولا شاذا وإنما هو قاعدة مسلم بها .

وأنا أقول : حقاً إن الحديث لا يأتى بالشاذ وهذا إذا تأكد صدوره من فى فم المعصوم بلفظه فمن الجائز أن يكون مرويا بالمعنى؛ وفى هنا نقل الأمير فى حاشيته على المغنى نقلا عن السيوطى قال أن التحقيق أن الأحاديث لا يحتج بها فى العربية لدخول المولدين فى رواتها بل والأعجام ، وعدم الثقة بأن هذا اللفظ النبوى لجواز الرواية بالمعنى . وشنع ملا على قارى بأن الأصل أن الرواى لم يغير اللفظ وحمله على الإصلاح مقدم . وقد استشهدوا بكلام العرب مع أن رواته مولدون ؟ ولكن يقال أن الغرض فى الحديث المعنى ، ولذا صححوا جواز روايته بالمعنى؛ وأما كلام العرب فالمقصود الأهم فيه اللفظ لإثبات اللغة فلا يبعد على هذا تساهلهم فى الحديث بما لا يتساهل فى مثله

فعند التحقيق العلمى ترى تعليله واهياً من الوجهة العلمية والاستشهاد بالآية فى غير موضعها ، فإنه يستدل بها على كمال صدق الرسول عليه السلام فيما يبلغ عن ربه فإذا نطق فإنما ينطق عن إخلاص وحق . ومما لا جدال فيه أنه إذا صح كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حجة بلا نزاع ، فهو سيد الفصحاء وإمام البلغاء . وحجته بألفاظ القرآن قطعية ، لأن المتن مقطوع به فتنظيره بالحديث غير وجيه فإنه غير مقطوع به فرد الاستشهاد بالحديث لما طرأ عليه من روايته بالمعنى وعدم الجزم بوروده لا التشكك فى حجية كلام المعصوم . والعبارة التى كتبتها فى مجلة الرسالة هى بنصها فى ابن عقيل على ألفية ابن مالك ولا يغيب عن الأذهان

الكتب

عالم الذرة

أو الطاقة الذرية والقنبلة الذرية

تأليف الأستاذ العالم نقولا الحداد

ما يستطيع إنسان أن يجهل أن الأستاذ نقولا الحداد عالم أصاب من العلم نصيباً كبيراً ، وأديب ضرب فى الأدب بسهم وافر ، وهو بين هذا وذاك فى نشاط مستمر ودأب لا يستقر ، يخرج على الناس — دائماً — بقصة مستملحة أو بحث طريف ، وهو سبّاق إلى الجُلّى ، فهو أول من نشر باللغة العربية كتاباً مسهباً فى نظرية النسبية لأينشتين ، وهو من أوائل من نشروا بحوثاً مستفيضة عن الطاقة الذرية . وكتاب « عالم الذرة » من الكتب الجليلة الفريدة فى نوعها ، أحاط بتاريخ الذرة منذ أن كانت خيالا فى أذهان العلماء ، لا تسمو إليها التجارب العملية، ولا ترقى إلى كنهها العقيدة الراسخة ، إلا تكنهات فرضية ، أو معادلات رياضية ، إلى أن أصبحت شراً مستطيراً تعصف بالزرع والضرع والناس فى طرفة عين .

ولا يسعنى — بعد إذ استوعبت كتاب الأستاذ نقولا كله — إلا أن أهمس فى أذنه فأقول : يا سيدى ، قد يعجز العالم عن أن يكون معلماً ، وذلك حين لا يستطيع أن ينزل إلى مستوى تلميذه ، أو أن يرقى بتلميذه إلى مستواه هو . وأنت فى كتابك أردت أن تكون معلماً ... ولكن ...

ولقد كان يخيل إلى وأنا أهم أن أقرأ الكتاب أننى سأجده كتاباً وسطاً على نمط ما كتبه « كيلاواى » فى الذرة ، أو ما كتبه غيره من علماء الغرب . ولكن كتاب « عالم الذرة » كان بحثاً عالياً عرض لنظريات العلماء الذريين منذ رُفورد وموزلى عرضاً علمياً مختصراً . ثم تحدث عن ترتيب العناصر الدورى لمندليف دون أن يوطئ لهذا الحديث بكلمات تكون بمثابة المدخل .

أن النحويين واللغويين لا يعول عليهم فى روايتهم للحديث فكم من حديث استشهدوا به وهو غير صحيح وإذا تمسك به طالبتاه بتصحيح الرواية ، فما قالته الرسالة صحيح لا غبار عليه .

على الطوبجى
من علماء أسيوط

القصة العربية الحديثة فى القرنين الأخيرين :

« يعد الأستاذ محمد نجم ، أستاذ الأدب العربى فى الجامعة الأمريكية ببيروت دراسة وافية عن القصة فى الأدب العربى الحديث ، وهو يرجو الأدباء الذين عالجوا كتابة هذا الفن من الأدب أن يكتبوا إليه نبذاً مفصلة عن حيواتهم وثقافتهم وإنتاجهم الأدبى مع ذكر التواريخ الدقيقة إن أمكن . كما يرجو هؤلاء الأدباء أن يرسلوا إليه نسخاً من كتبهم. وهو مستعد لشراء الكتب بالأثمان التى يحددها أصحابها ، وعنوان المراسلة هو ص . ت ٢٢٠٨ القاهرة » .

(١) ميلاد ابن عربشاه :

فى ص ١٣٢١ من عدد (الرسالة) ٨٠٣ « ولد أحمد بن عربشاه بدمشق عام ٧٩١ » . والذى فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد ج ٧ ص ٢٨٣) أن مولده سنة ٧٩٠

وفى الصفحة نفسها « ودفن بالخانقاه الصالحية » والصواب « الخانقاه الصلاحية » على ما فى ترجمته فى (تاريخ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) ج ٢ ص ١٢٩ .

(٢) قبرس :

فى ص ١٢٧٢ من عدد (الرسالة) ٨٠١ (قبرص) بالصاد والصواب (قبرس) بالسين . قال المؤرخ الثبت عز الدين بن الأثير فى كتابه (اللباب فى الأنساب) المطبوع بالقاهرة ، فى ص ٢٤٠ من الجزء الثانى : قبرس بضم القاف وسكون الباء وضم الراء وفى آخرها سين ، وهى جزيرة فى بحر الروم ...

محمد أسامة

وإن القارئ ليحس اضطراباً في الصفحات الأولى من الكتاب وكان الأجدر بالأبواب الثلاثة الأولى أن تكون على النظام الآتي :

١ — العناصر. ٢ — الجزئ وتركيبه في العناصر والمركبات .

٣ — الذرة وعلاقتها بالجزئ .

٤ — تركيب الذرة من نوعي الشحنات .

٥ — الألكترون والبروتون . ٦ — الأفلاك الذرية .

ولن يجد المرء صعوبة في أن يوفي المواضيع السابقة حقها من الشرح والإيضاح في أسلوب رقيق سهل ، فتكون أقرب مأخذاً وأسرع إلى الفهم ، كما فعل المؤلف حين أراد أن يوضح العلاقة بين مناطق الألكترونات في الذرة ، وبين الخواص الكيميائية الدورية التي نبهت مندليف إلى ترتيب العناصر في جدوله .

ويتمسك المؤلف برأي أينشتين في أن الطاقة والمادة شيء واحد ، وهو بحث علمي رياضي صعب يجب أن ننقله في كتاب عام أنشئ ليوضح فكرة جديدة في سهولة ويسر .

وفي ص ٦٨ ينصح المؤلف القارئ فيقول : « ويلاحظ القارئ أن في سياق الحديث بعض النقط الفنية عويصة قد يتعب ذهنه في إنعام النظر فيها . إذ لا يمكن التوسع في تبسيطها لأنه يستلزم مضاعفة صفحات الكتاب ، والكتاب مجال محدود لا يسمح بذلك التوسع ، فللقارئ أن يتجاوز هذه النقط إذا لم يشأ التريث للفهم » . وكان في قدرة المؤلف أن يسد النقص الذي يومئ هو إليه لو أنه أغفل كثيراً من المواد الجافة المعروضة ليحل محلها الشرح الوافي المبسط للنقط الهامة .

وفي الكتاب هنات يسيرة أعرضها في ما يأتي :

١ — خرج المؤلف عن المألوف في ترجمة بعض المصطلحات العلمية . ففي صفحة ٢٩ Magnetic Feild بالجو المغناطيسي الجاذبي والصحيح المجال المغناطيسي . وترجم Electric Field بالجو الكهربائي والصحيح المجال الكهربائي . وفي صفحة ٣٤ ترجم Centrifugal force بالقوة الدافعية والصحيح القوة الطاردة المركزية

٢ — قال المؤلف في ص ٥٢ : الجرافيت وهو الفحم الجوي المضغوط . والصحيح أن الجرافيت صورة من صور الكربون توجد في الطبيعة في سيبيريا وسيلان والهند وانجلترا وكاليفورنيا ويمكن الحصول عليه صناعياً من تسخين خليط من الفحم الحجري أو فحم الكوك ومن الحديد بنسبة ٩٧ : ٣ في فرن كهربائي فينتج نوع نقي من الجرافيت الصناعي ويتبخر الحديد من أثر الارتفاع الشديد في درجة الحرارة .

قروية فيلســـوفة

(بقية المنشور على الصفحة الأولى)

الآلاف من الحقول ، والمئات من العجول ، والقناطير من الذهب ، والصناديق من الحلي ، والأصونة من الثياب ، فهل أنال من كل أولئك غير ملء الجوف وستر الجسم ؟ إن الحلاوة التي تجدها في قالب السكر الصغير ، هي بعينها الحلاوة التي تجدها في قمع السكر الكبير . وإن اللذة التي تذوقها في رطل اللحم الذي تشتريه ، هي نفسها اللذة التي يذوقها البدراوي في الخروف الذي يذبحه . وإن الدائرة الضيقة التي أضطرب فيها أنا وعيالي ، تجمع من متاع النفس والجسم ما تجمعه الدائرة الواسعة التي يركض فيها الباشا هو وأهله . فالمسألة إذن مسألة قلة وكثرة ، لا مسألة نعيم وبؤس . ومادام القليل يكفيك من الكثير ، والصغير يغنيك عن الكبير ، فإن فضول العيش شغل وهمّ وفتنة . اسمع أقص عليك من بعض أمري ما يثبت فؤاد القانع ، ويغير اعتقاد الطامع . . .

بقية الحديث في العدد القادم

احمد حسن الزيات

٣ — وجاء في ص ١٥ : إذا كانت ذرة ما كذرة الراديوم مثلاً تنفث ذريرة (ألفا) التي كتلتها (أي وزنها) ٤ ... الخ فاعتبر الكتلة هي الوزن في حين أن الكتلة هي مقدار ما يحويه الجسم من المادة ، أما الوزن فهو مقدار جاذبية الأرض للجسم . وبينهما بون شاسع .

٤ — وفي ص ٦٧ كتب : كتلة × سرعة = زخماً

والصحيح أن الكتلة × السرعة = العزم

وفي نفس الصفحة ذكر أن : السرعة هي مدى انقذاف المقدار في الثانية . والصحيح أن سرعة جسم متحرك هي معدل إزاحته في الثانية . على أن هذه الهنات لا تضع من القيمة العلمية والفنية لكتاب هو الأول في بابه صدر عن عالم مختص يقرأه القارئ المثقف واثقاً مما يقرأ مطمئناً إلى ما يفهم ، وإذا كان المأخذ الجوهري الذي أخذناه عليه هو ارتفاع مستواه عن ذهن القارئ العادي فإن معظم القراء أصبحوا اليوم من الثقافة بحيث لا يجدون صعوبة في إدراك الحقائق العلمية مصبوبة في أي قالب ؛ فهم يحتاجون إلى الاستزادة أكثر مما يحتاجون إلى الاستفادة . فللأستاذ المؤلف الشكر على ما بذل ويبذل من الجهد العظيم ونشر الثقافة وإفادة النشء وخدمة الأمة .

كامل محمود حبيب



الحلم

للكاتب الايرلندي لورد دنساني

رأيت في المنام أني اقترفت جرماً فظيعاً رفضوا من جرائه أن يدفنوني في الأرض أو في البحر، بل لم يكن لي مكان حتى في الجحيم.

عرفت ذلك وأنا في انتظار مصيري عندما أقبل أصدقائي وقتلوني سراً في احتفال ديني أضاءوا فيه الشموع، ثم حملوني بعيداً عن لندن، رحلوا في دجى الليل وساروا في طرق موحشة بين صفين من الديار الصغيرة حتى وصلوا إلى النهر، وكان في صراع مع مد البحر بين الضفاف الموحلة وفي ظلام الليل الدامس، فعرتهما دهشة فجائية من رؤيتهما أصدقائي وقد انعكست أنوار شموعهم على صفحة الماء. أدركت كل ذلك بينما كانوا يحملون جثتي التعيسة، فقد كانت روحي لا تزال بين عظامي لأنه لم يكن لها مأوى في السماء

ونزلوا بي درجاً أخضر موحلاً، فدنوت شيئاً فشيئاً من الطمى المرعب. وهناك حفروا حفرة قليلة الغور وأرقدوني فيها بين المهملات. ثم ألقوا فجأة بشموعهم في النهر، فانطفأت شعلتها وانسابت تندفع مع المد صغيرة شاحبة. وجعلت أراقب شروق الفجر وأشاهد أصدقائي يتسللون خفية الواحد تلو الآخر وقد توشحوا معاطفهم.

وأقبل الطمى وغطى كل شيء عدا وجهي. ورقدت هناك بين المفقودات والأحجار المتداعية والمهملات وكل ما هو في طي النسيان، وقد تخلصت من إحساساتي، لأني كنت ميتاً — قتيلا ولم يبق لروحي التعسة سوى الإدراك والتفكير. وبزغ الفجر فأبصرت الديار المهجورة تزخر بها حافة النهر، وقد أطلت عليّ نوافذها الميتة تحدق في بأعين لا حياة فيها، نوافذ يجثم وراءها الشر وقد خلت من أرواح البشر. وازددت جهداً وأنا أتطلع إلى تلك المهملات فأشعر بالرغبة في البكاء دون أن أبكي لأني في عداد الأموات. ثم عرفت ما لم أكن أعرفه من قبل — أن هذه الديار المهجورة كانت تود أن تبكي مثلي طوال الأعوام التي مرت عليها. ولكنها بكاء لا حياة فيها. وكم كنت أود أن تبكي هذه الأشياء المتراكمة المهجورة فأشعر بالراحة لبكائها، ولكنها كانت أيضاً ميتة كفيفة البصر، وكان حالي مثل حالها، فقد حاولت البكاء فلم يتساقط الدمع من عيني.

وكنت أعرف أن النهر يستطيع لو أراد، أن يعتني بنا، ويحنو علينا، ويغني لنا. ولكنه كان يندفع جاريا دون أن يفكر في شيء سوى ما يحمله معه من سفن فاخرة.

وأخيراً فعل المد ما لم يفعله النهر، وأقبل وغطاني، فانتشت روحي بعد أن رقدت تحت الماء الخضر، وخالجها اعتقاد أنها مدفونة في البحر. وما انحسر الماء حتى رجعت إلى الطمى بين المهملات وعدت إلى مشاهدة الديار المهجورة وعادت إلى معرفتي بأننا جميعاً أموات. ثم بدا لي نفق حالك وممرات سرية ضيقة تخترق ذلك الحائط الكئيب الواقع خلفي وقد غطته الأعشاب الخضر، فأقبلت منها الجرذان تتسلل لتقرضني، وابتهجت روحي عندئذ، واعتقدت أنها ستغدو حرة، فتخترق نطاق تلك العظام الملعونة التي رفض دفنها. ولكن سرعان ما ولت الجرذان هاربة مبتعدة عني، ثم جعلت تتشاور فيما بينها، ثم لم تعد إلي بعد ذلك. وهنا عرفت أني ملعون حتى بين الجرذان، وحاولت عندئذ البكاء دون جدوى. ثم أقبل المد وعاد يتأرجح حتى غطى الطمى المهول، وأخفى الديار المهجورة، وواسى الأشياء المهملة، وأراح روحي فترة وهي مدفونة في مياهه. وأخيراً هجرني وابتعد.

وهكذا أصبح المد يقبل ثم يعود سنين عديدة، إلى أن وجدني بعضهم، فانتزعوني من الطمى ودفنوني دفناً لائقاً. وما أن رقدت في أول رمس حتى عاد أصدقائي وأخرجوني منه وأعادوني إلى حفرتي في الطمى

وكم من المرات تجد عظامي مدفنا لها على كر السنين، وفي كل مرة يكمن أحد هؤلاء الرجال الرعبين، حتى إذا ما أتى المساء يقبل فيحفر ثم يخرجني من رمسي ويحملني ويعود بي إلى حفرتي الأولى.

وفي ذات يوم مات رجل من هؤلاء الذين فعلوا بي هذا الفعل المروع. وسمعت روحه تتصاعد فوق النهر عند الغروب. وحينئذ أشرق في روحي الأمل.

ومرت الأسابيع عندما وجدوني مرة أخرى، فأخرجوني من ذلك المكان المتقلقل ودفنوني في أعماق الأرض المقدسة. وعاود روحي الأمل في أن تظل هناك أبدا. ولكن سرعان

ما أقبل رجال متشحون بالمعاطف ويحملون الشموع ، وأعادونى إلى الطمى . لقد أصبح ذلك الأمر لهم تراثاً وتقليداً . وسخرت منى المهملات فى قلوبها الصم عند عودتى ، فقد كانت تغار منى لتركى الطمى . وكنت لا أزال أذكر أنى لا أستطيع البكاء .

ومرت السنين تجرى كما يجرى النهر صوب البحر حيث الزوارق ترحل وتعود والسفن الهائلة الهائمة يبتلعها الموج ، وما زلت راقدا بلا أمل ، لأنى لا أجرؤ أو آمل دون سبب ، نتيجة حسد المهملات الروع وغضبها الشديد .

وفى ذات يوم هبت عاصفة هوجاء ، أقبلت جنوباً من بعيد ، قادمة من البحر ، ثم عرجت على النهر تصاحبها الريح الشرقية العاتية ، وتغلبت على الجزر وهى تسير فى خطى واسعة فوق الطمى الناقل . وابتهجت المهملات واختلطت بغيرها من الأشياء المبتهجة ، وانساقت السفن الفاخرة وهى تطفو من أعماق الماء ، وأخذت العاصفة عظامى من مرقدى الموحش ، فشعرت بأمل يترعرع فى نفسى فى أنه لن يعكر على الجزر صفو مرقدى بعد ذلك . وعندما انحسر المد كانت العاصفة قد ولت تقتفى أثر النهر صوب الجنوب ، ثم عادت إلى مقرها بعد أن بعثرت عظامى بين جزر كثيرة على طول السواحل . وكادت روحى أن تتحرر من أغلالها عندما ارتفع المد الدافق تحت ضوء القمر وعبث بما تركه الجزر ، ولم عظامى من هذه الجزائر وعاد بها من هذه السواحل ، ثم ذهب ينثنى صوب الشمال حتى وصل إلى مصب التيمس ، وهناك تحول غرباً والتقى بالنهر وصعد معه حتى اقبل إلى الحفرة فألقى فيها عظامى . ثم انحسر المد فشاهدت أعين الديار الميتة ، وشعرت بغيرة المهملات التى لم تحملها العاصفة .

ومرت قرون على ذلك التنازع بين المد والجزر ، ولا زلت تحت قبضة الطمى بين هذه المهملات الموحشة ، وأنا عاجز عن التحرر من أغلاله . واشتقت إلى حنان الأرض الدافئة ، وأحضان البحر الخضم .

وكان الناس بعض الأحيان يعثرون على عظامى فيدفنونها . ولما كانت التقاليد لا تزال على حالها من الوجود فقد أصبح خلفاء أصدقائى يقومون دائماً بإعادتى إلى الطمى . وأخيراً انقطع إبحار السفن ، وخبا ضوء النهار ، ولم يعد يطفو على الماء إلا جذوع الأشجار القديمة وقد اقتلعتها الريح من جذورها . وشعرت مع الزمن بنمو الأعشاب بجوارى وأخذت الطحالب تنبت فوق الديار الميتة. جعلت أراقب هذه التطورات سنين عديدة إلى أن تأكدت تماماً أن لندن فى طريقها إلى الفناء . وحينئذ أشرق الأمل مرة أخرى ، مع أنى كنت أعرف أن كل من يجرأ على أن يأمل وسط الطمى يثير عليه غضب المهملات الملقاة على ضفتى النهر . وشيئاً فشيئاً تداعت الديار المخيفة ، ووجدت لها مدفناً لا تقاً بين الأعشاب والطحالب . ثم تفتحت الأزهار البرية واستطالت النباتات المتسلقة ، وأطلت فوق الأكمات . وحينئذ عرفت أن الطبيعة قد انتصرت وأن لندن قد أصبحت أطلالا . وأقبل آخر إنسان إلى الحائط بجوار النهر فى معطف رث من تلك المعاطف التى كان يرتديها أصدقائى ، وحدق ليرى إذا كنت لا أزال هناك ثم رحل ولم أشاهده بعد ذلك . لقد رحلوا جميعاً كما رحلت لندن .

وبعد أيام ، أقبلت الطيور الشادية ، ونظر بعضها إلى بعض عندما شاهدتنى ، ثم طارت بعيداً عنى وجعلت تتشاور فيما بينها ، فقال أحدها « أنه لم يأثم فى حقنا ، وإنما أثم ضد الإنسانية » فقالت « إذن دعونا نحنو عليه » .

ثم حطت بالقرب منى وأخذت تغرد . واستمعت إلى شدو الثلاث منها عند الشروق ، على ضفاف النهر ، وفى عنان السماء وخلال الغابات ، وتعالى غناؤها عندما سطع الضوء ، وازدحمت فوق راسى حتى أصبحت آلافا مؤلفة ، ثم ملايين ، فلم أر أخيراً إلا أجنحة تصطفق تحت قبة السماء وارتفعت روحى من عظامى الراقدة فى الحفرة الوحلة ، وأنا أستمع إلى هذه الأغاريد الشجية ، وأخذت تتعالى فى عنان السماء مع الألحان . وبدا لى كأنما قد شق طريق بين الطيور ، ارتفعت فيه روحى وظلت ترتفع حتى دلفت إلى الجنة من أحد أبوابها الصغيرة وقد فتح على مصراعيه فى نهاية السماء . وعندئذ عرفت أنى قد انتشلت من ذلك الوحل ولن أعود إليه مطلقاً ، فقد وجدت فجأة أنى أستطيع البكاء .

وفى نفس اللحظة فتحت عينى فوجدتنى فى فراشى بلندن ، وسمعت الطيور تغرد فوق شجرة فى الخارج تحت أشعة الصباح الخلابة . وكانت عينى مندأة بالدموع ، فإن إرادة الإنسان أضعف ما تكون أثناء النوم . وهببت من فراشى وفتحت النافذة ، وبسطت ذراعى فوق الحديقة الصغيرة ، وباركت الطيور التى أنقذتنى بشدوها من حلمى الطويل المخيف المزعج .

محمد فتحى عبد الوهاب

مطبعة الرسالة